

الأعمال الشعرية  
الكاملة

# سنية صالح



تقديم : خالدة سعيد



5885



**Author: Saniya Saleh**

**Title: The Complete Poetry Works**

**Al- Mada P.C.**

**First Edition : 2008**

**Copyright © Al- Mada**

اسم المؤلف : سنية صالح

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة

الناشر : المدى

الطبعة الأولى : ٢٠٠٨

الحقوق محفوظة

## **دار مدا للثقافة والنشر**

سورية - دمشق ص. ب. : ٨٢٢٢ او ٧٢٦٦ - تلفون: ٢٢٢٢٢٧٥ - ٢٢٢٢٢٧٦ - فاكس: ٢٢٢٢٢٨٩

**Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria**

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

[www.almadahouse.com](http://www.almadahouse.com)

E-mail: [al-madahouse@net.sy](mailto:al-madahouse@net.sy)

بيروت- الحمراء- شارع ليون -بناية منصور- الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٧-٧٥٢٦١٦

E-mail: [al-madahouse@ldm.net.lb](mailto:al-madahouse@ldm.net.lb)

بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناية ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

E-mail: [almada112@yahoo.com](mailto:almada112@yahoo.com)

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع ، أو نقله ، على أي نحو ، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أم ميكانيكية ، أم بالتصوير ، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك ، إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماتاً

All rights reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

# الأعمال الشعرية الكاملة

سنية صالح





## الشعر فخر الأمل

تقديم: خالدة سعيد

سنية صالح من الشعراء الذين علقوا الخط الفاصل بين مستوى الشعر ومستوى الحياة.

مع ذلك لا يمكن أن نعرف شعرها استناداً إلى حياتها، ولا نقدر أن نكتب حياتها انطلاقاً من شعرها، مهما كانت الوشائج بين المستويين. لأن لسنية صالح كيميائها الشعرية الخاصة شأن الشعراء الحقيقيين.

شعرها قد وضع معنى حياتها في مدار العام الإنساني وأعطاه بعداً جديداً، بل كشف في ذلك المعنى عن ماهية مختلفة وإن لم يمحُ ظلال تلك الحياة. لذلك سأحاول الكتابة مؤمنة أن من المجحف في حق شاعرية سنية أن نحصرها في ضوء سيرتها مهما كانت حياتها فريدة وصاعقة.

كما أنني لدى تقديم موجز لسيرتها لن أتوسع في التفاصيل والوقائع، لأن لها مقاماً آخر.

وقد كتبت سنية صفحات من مذكراتها وجمعتها إلى رسائلها، وأعتبر أن التصرف بأمر نشرها يعود إلى ابنتها شام وسلافة الماغوظ.

## خطوط من حياة:

ولدت سنية، بنت فاطمة شريف وخليل صالح، في بلدة مصياف بسورية يوم ١٤ نيسان/أبريل ١٩٣٥ وتوفيت بدمشق في ١٧ آب ١٩٨٥ كانت البنت الثانية في الأسرة. وهي تقول في مذكراتها، «ولدت لأبوين عائدين من دفن ابنيهما الذكر الوحيد»، وتكون بهذا التعبير قد ربطت ولادتها بخيبة وفقدان.

لم تكد سنية تكمل الثالثة من عمرها حتى أصيبت أمنا بالتهاب شديد امتدّ إلى أذنيها وشفت على أثره السمع. كانت أمنا تتالم وتقول إنها لا تعرف كلام سنية. وحالة الأم هذه لم تشجع سنية على الكلام، حتى إنني أنا نفسي لا أكاد أذكر من كلامها في تلك السنوات الأولى إلا ما يعبر عن حاجة.

وضع الأم الصحي والزوجي دخل في تطورات وتعقيدات عائلية أوصلت الأمور إلى الطلاق. وما تلا من الوقائع، وموت أمنا بعد ذلك، هذا كله كنت أظن سنية قد نسيت أو أنها لم تفهمه، لأننا في حياتنا معاً كنا ندور حول تلك المرحلة ولا نذكرها بل نتحاشاها كأنها لم تقع.

وظلت سنية قليلة الكلام شديدة الحياء خلال بضع سنوات. كان ميلها إلى الصمت ملفتاً، وإن لم يكن بالطبع صمتاً كاملاً، إلى أن بلغت العاشرة من عمرها وبدأت نتائجها المدرسية تبرز قدراتها. لكنها كانت باستمرار تنطوي على جرح سرّي تتحاشى الإشارة إليه.

وبالفعل لم يكن صمت سنية خالياً أو مقفراً. كان الصمت ينحني على أسراره وآلامه وأخيلته ويكتشف كانه صمت من رأى ولم يجد لما رأى تعبيراً. كانت وراء جدار الصمت ولم نكن نعرف ما يجري في ذلك العالم.

فقد اكتشفتُ، لما كانت سنية في مستشفى «بول بروس» في «فيل جويف» بفرنسا، أثناء مرضها، ثم لى قراة مذكراتها، كم تذكر من الأحداث التي نسيها أنا نفسي، وكم ترويه مفصلة، بحزن أو بفكاهة، ويخبر طفولي ودعاية. وكم كانت عارفة بكل الملابس، إذن كانت ترى وتحاكم وتحكم وتخزن الذكريات وتحجم عن التعبير.

سنية صالح، في مسيرتها الشعرية، التقت بمحمد الماغوط. بدأ الأمر من إعجاب شعري. وينبغي القول إن هذا الإعجاب كان هائلاً لا يزعه شيء. وأظن أن هذا الإعجاب والرابط الشعري هو ما تغلب في النهاية. التقيا في دمشق عام ١٩٦٣ وكلاهما يحمل حيناً واحداً إلى الزمن اللبناني حيث تأسس كشاعر. هو كرائد، وهي أيضاً كانت قد نالت «جائزة النهار» لأفضل قصيدة عام ١٩٦١ كما كانت قد خطت خطوتها الأولى في الجامعة بتقدير وتألّق حين درست الأدب الإنكليزي في الجونبور كولدج عام ١٩٥٧-١٩٥٨. لكنها اضطرت في نهاية ذلك العام الجامعي، بسبب حوادث لبنان ١٩٥٨، أن تعود إلى «معرة مصرين» حيث كانت وظيفة الوالد. ولم تلبث أن اضطرت للعمل في حلب كي تساعد الأهل بسبب من إحالة والدنا على تقاعد مبكر مع أسرة كبيرة. ولم ترجع إلى لبنان قبل عام ١٩٦١

خريف ١٩٦٢ انتسبت إلى جامعة دمشق، قسم الأدب الإنكليزي. وفي تلك الفترة التقت محمد الماغوط. ارتبط الشاعران بحب فيه من العنف بقدر ما فيه من الحنان. كتب لها قبل الزواج وبعده رسائل مدهشة في تعبيرها عن الحب، وكانت تعني لها الكثير، هي التي كانت الكلمة الحارة نقطة ضعفها وحصاد حياتها. كان لقاؤهما في وضع سياسي صعب. لم تكن هي مضطهدة بشكل مباشر. ولكنها لم تكن ترى إلا



كأخت لمغضوب عليها. وكان هو مبعداً من لبنان بعد حوادث ١٩٥٨ ومغضوباً عليه بسبب مقالاته الساخرة في جريدة سورية. هكذا عاشا قبل الزواج جواً كابوسياً مشتركاً كتب الماغوط صورة عنه في روايته «الأرجوحة(\*)». وكما يظهر في الرواية، اضطر إلى التخفي ولازم غرفة صغيرة أشهراً طويلة. فكانت سنية صلتها الوحيدة بالعالم، تتخفي وتموء الطرق حتى تأتيه، وتحمل له الطعام والصحف والسجائر وسائر الحاجات. حتى إنها قصت شعره خوفاً من أن يخرج بشعره الطويل. وهذا بدوره أوجد لها متاعب مع أهلها.

وأظن بحسب ملاحظاتي وإطلاعي أن سنية طلبت من الحب ما طلبت من الشعر. طلبت من الحب أن يكون ثأرها من العالم وحصانها السحري للنجاة. وكانت للماغوط بدوره محنته وثارته من العالم. ويمكنني القول إن هذا الحب قد شغل كيان سنية بقدر ما شغلته آلامها العريقة. وتمكن مراجعة قصيدتي «البحيرة» و«الصديقان» كمثالين لصورة الماغوط في شعرها (من مجموعة «حبر الإعدام»، ١٩٧٠).

على كل حال لم تكن حياتهما معاً شعرية دائماً على الرغم من التواطؤ الشعري الذي استمر بينهما. في هذا المناخ جاءت ابنتاهما شام وسلافة كأنهما من سماء حلم أسطوري. ونراهما تحضران في شعر سنية حضوراً عجائبيّاً سحريّاً:

«سلافة تهزّ شجرة الغيوم

فتسقط الدموع كلها»

(قصيدة «تخرجين من أسوار الجسد» مجموعة «ذكر الورد»).

---

(\*) صدرت للمرة الأولى عن دار رياض الريس، ثم ضمتها المجموعة الكاملة لأعمال محمد الماغوط الصادرة عن دار «المدى» بدمشق

وفي قصيدة «شام، أطلقي سراح الليل» (مجموعة «قصائد»)،  
نكاد لا نعرف من حرج من جوف الآخر، الأم أم الأبنة؟  
أما حياة سنية في مجال العمل فلم تصلح الأمور. لم تجد إلا وظيفة  
هزيلة بليدة مكتبية لا علاقة لها بأي شيء من حياتها وأحلامها. ولم  
تشف من الشعور بأنها في غير مكانها.

هل وقائع حياة الإنسان تهوى التشابه والتكرار؟ لقد انتهت هذه  
الحياة الغربية بمرض عضال. ولم تكن سنية تملك لا هي ولا أي فرد من  
أسرتها أو أسر إخوتها وسائل العلاج. وفي سياق هذه الحياة القائمة  
القاسية نفهم ما عنته لسنية التفاتة السيدة أتيسة مخلوف الأسد  
وإرسالها لها للعلاج في فرنسا. كان ذلك استثناءً فريداً عجيباً في  
سياق حياة مأساوية. وكانت سنية قبل ذلك قد طرقت أبواب عدد من  
المؤسسات، من اتحاد الكتاب إلى وزارة الثقافة وغيرهما، ولم تحظ بمجرد  
بحث للملف، ولا حتى بجواب، وأحياناً لم تحظ حتى بإصغاء. أقول هذا  
كذلك لأوضح في الوقت نفسه معنى الإهداء الغريب الذي صدرت به  
ديوانها الأخير «ذكر الورد» إذ اختتمت الإهداء بعبارة: «إلى الأبواب  
التي تساقط أمامها وهو ينتظر».

مع هذا كله لا نستطيع أن نحصر الألم في شعر سنية صالح ببعده  
المباشر. ولا مناسبة هنا لمشاعر الشفقة التي يثيرها هذا المستوى من  
الألم، وهو ألم لم يتمثل في شعرها إلا في أفق إنساني شاسع. الألم في  
شعرها هو انكسار الحلم. إنه عطب يحمله العالم في وعينا ويحمله  
جسدنا كخطر كامن وذمار مضمّر. ليس الوجع الجسدي العضوي، وإن  
كان هذا الأخير واحداً من مستويات الألم، لأن الجسدي هو الأكثر مباشرة

وقابلية للشفاء. الألم الذي تجلّى في مجموعتها الأخيرة «ذكر الورد» هو تصدّع الصورة التكوينية للعالم، لأننا لا نقدر أن نعقل العالم بلا صورة كلية ووشائج. الألم هو الإقامة الخطرة في العالم. هو رؤية المواكب الإنسانية المسحوقة، هو قلق الإحساس بالذات والإحساس بارتجاج موقع الذات ومرتكزها وأفق حضورها. وهي قد صارت الموت بقوة حبها لطفلتها وبقوة الشعر. كان الشعر الضوء السري الذي، بقدر ما يكشف هول الصراع في التجربة، يقدم المعاني الخلاصية.

قصائد ديوانها «ذكر الورد» كتبت جميعها أثناء المرض. كانت تكتب في كل الحالات، حتى مع العلاج الكيميائي؛ علماً بأنها قد أسقطت قصائد عديدة مما كتبت، بينها قصيدة «ثوب الهواء» التي أعيدُ في هذه المجموعة الكاملة نشر مقاطع منها، لما فيها من إشارات واضحة إلى بعض ذكريات سنية عن أيام الطفولة، وقد نظّمت بنفسها مجموعة «ذكر الورد» وكتبت لها مقدمة تتناول رؤيتها للشعر. وهي التي اختارت العنوان وكتبت الإهداء وألحّت على نشره بحرفيته.

لقد كان الشعر شطراً صميمياً من حياتها. كان وصيتها وصوتها الذي يبقى.

### البداية:

متى بدأت سنية تكتب؟ لا أعرف بالضبط. لم تقل مرة واحدة إنها تكتب الشعر. كانت قد اختارت الفرع العلمي للبيكالوريا وأعلنت دائماً عن رغبتها في دراسة الطب. ولم ألاحظ أنها طالعت كتاباً شعرياً أو أدبياً. مجلة «شعر» هي أول ما رأيتها تطالع فيه. وقصيدة سان - جون

بيرس التي ترجمها أدونيس ونُشرت في مجلة «شعر» عام ١٩٥٧ بعنوان «ضيقة هي المراكب»-أدهشتها، هكذا قالت ولم تعلق بكلمة.

وبحسب ما يرد في مقاطع المذكرات التي تركتها، أو في حديثها مع محمد الماغوط الذي كان قد نُشر في مجلة «مواقف» (انظر في هذا الكتاب فصل «سنية صالح، من أنت؟») يبدو أنها كانت تكتب الشعر في هامش كتبها المدرسية دون أن تهتم بالاحتفاظ بالنصوص أو عرضها على أحد. لم تكن تعتبر المسألة أكثر من «خريشة» عفوية شخصية. لكنها في مجيئها إلى لبنان عام ١٩٥٧-١٩٥٨ ودراستها في الجونيوور كوليج فتفتحت على مناخ جديد وتنبّهت إلى ما تكتب.

وذاث يوم بعد انفضاض اجتماع لمجلة «شعر»، صيف عام ١٩٦١، وكنا في بيتنا في ديك المحدي (من قضاء المتن في لبنان) نناقش قصائد، قالت لي، سأريك شيئاً: كتبت هذا. وكان هناك بضع قصائد بينها قصيدة «جذور الرياح» المنشورة في مجموعة «الزمان الضيق».

فجأة من الضمت-تفتحت سنية. أزاحت الحجب والقيود وتكشّف ما يسكن الدواخل.

قصيدة «جسد السماء» التي قدمتها لمسابقة جريدة النهار عام ١٩٦١ ونالت عليها جائزة الشعر. فاجأت الجميع. هي بدورها فوجئت بالنتيجة، بل خافت رغم إحساسها الضمني بقيمة ما تكتب.

سنية فاجأت الجميع لأنها كانت صامتة ودخلت دائرة الشعر بلا مقدمات ودون أي ادعاء.

تألّفت اللجنة التحكيمية لجائزة النهار، ذلك العام، من خمسة شعراء هم: شوقي أبي شقرا وصلاح ستيتية وفؤاد رفقّة وأدونيس وأنسي

الحاج المشرف على القسم الأدبي في جريدة النهار يومذاك. ولخصت اللجنة رأيها بالقول «حين درست اللجنة القصائد الثلاث المتبقية بعد الفرز النهائي وقدرت ما في القصائد من القيم الشعرية والفنية ارتأت أن ما تضمنته قصيدة «جسد السماء» من هذه العناصر يؤهلها لنيل جائزة الخمسمئة ليرة، فمُنحت إياها» (جريدة النهار، العدد ٧٩٤٦، تاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٦١).

أما كلمة الشاعر أنسي الحاج، المشرف يومذاك على الصفحة الأدبية وعلى الجائزة معاً، بهذه المناسبة، وفي العدد نفسه فقد جاء فيها: «قصيدة «جسد السماء» قصيدة نثرية ونزعتها نزعة شخصية، وتكنيكها مناخي أكثر مما هو عضوي، فحين تقرؤها تنفلس في نفسك صوراً وتوترات ولا تحسبك هي في نفسها. على الرغم من غموضها تتوصل إلى هذه النتيجة، لأنها، مع غموضها، ومع شخصياتها، تحمل كذلك التجربة الصادقة التي تمس الآخرين مساساً أجزائياً عبر الكلمات ومساساً روحياً يصدر من جوهرها كله. وبعض الصور والنداءات وبعض الكلمات ذات الدلالة المباشرة تساعد كثيراً على إيضاح القصيدة، بل إيضاح الشاعرة في نفس القارئ».

ثم يقول: «العالم منقسم. الانتقام منه باللجوء إلى نصفه الآخر تكريس لانقسامه. العالم منقسم وينبغي توحيده. فلنتظر إذا وتنتظر الشاعرة. من يأتي؟ من يُخصب اليباس وينير الظلمة ويهدم الحواجز بين الحلم واليقظة، والصمت والنهار؟ من يشعل جسد السماء؟».

لقد كانت هذه القصيدة علامة على مجيء سنية صالح من خارج الموروثات ومن خارج المألوف وأيضاً من خارج التيارات الجديدة التي

كانت تصارع للصدود. حتى إن الشاعر عباس بيضون، وبعد مزور زرع قرن، يصف هذه القصيدة بأنها «يتيمة» (بمعنى أنها لا تنحدر من سلالة) وإن كان «اليتيم» يحده ذاته لا يشكل قيمة. تكلم عباس بيضون على هذه القصيدة في سياق مقالة له حول شعر سنية صالح نشرها في جريدة السفير بتاريخ ١٠/٧/١٩٨٥. أقتطف منها هذا المقطع الخاص بـ «جسد السماء»: «حظيت بالجائزة قصيدة «النثر» جسد السماء. (... قرأت القصيدة وفروها واجتمعنا كما جزت العادة على رمي لجنة الاختيار بالتحيز والشك في جدارة القصيدة. (...) ولكني وأنا أجازيهم كنت أشعر أن القصيدة التي استهجنها تلك إلي من طرق لم ألقها وتخطب طبقات حسن لم تكن بعد قد تحركت ولم أكن سمعت لها نامة أو جرساً. كانت القصيدة تأتيني من الجلد والافتخار والصدى الداخلي ومن مطارح لم تكن بعد اعتادت أن تكون مسالك وطرقاً. لقد طال إصغائي فيما كنت أهرج وأصخب وأعطي على ما ينسل إلي من القصيدة حتى بات لها متنفس ومكان في تلك المسام التي أيقظتها. منذ ذلك الحين أذكر «جسد السماء» كقصيدة فريدة، لكن «جسد السماء» يتيمة من يتيمات الشعر الحديث ليس لها أب فارع ولا نسب قوي، لذلك لا تُذكر بين قلائده وحسانه، ولا يشار إليها في امتحانه فسرعان ما غدت له متاجف. ولزما ظلم القصيدة أنها أطلت من مسابقة كان احتكامها إلى لجنة جعلها دائماً تحت الفحص، وحجزها عن أن تخرج إلى السباق الأوسع».

«... والقصيدة على ما يُظنُّ أكثر قصائدها المنشورة تكبيراً، رغم ذلك كرسها شاعرة لكنها لم تزد عن أن تكون قصيدة التكريس. لم

يرفعها أحد فوق ذلك (... ) لكن يدخل في ظني أن وراء هذا النسيان سبباً يعود إلى فرادة القصيدة فرادة غير مدعية ولا فاقعة. فالقصيدة ظهرت في أوائل الستينات ولم يكن مضى على القصيدة الحديثة عقد واحد. وكان الخيار الدارج يومها بين طريقين: الانبعاث أو الاجتثاث. ولم تكن سنية معنية بهما معاً. لم يكن كلامها الذي شكا من افتقاده إلى كلمة « تشعل الحرائق تطفئ الحرائق » ليندرج في هذا السجال أو تلك الإشكالية. (... ) لم تكن الأنا الباعثة المحيية الساحرة بقوة الكلمة، ولم تكن الأنا الساخطة الراجعة الكافرة الهادمة. لم تكن هذه وتلك فكلتاها مكتملة ممتلئة كلية الحضور وكلتاها عمدة القول ومحوره. (... ) كلتاها تؤسس وتهدم وتبني وتتعلق بلسان عصر وشعب وتاريخ، أما « أنا » سنية فتقطن في المسالك الخفية تتبدد وتكثر تاركة « الظلمة تولد بارتياح » والسر ينسدل عليها، وعلى هذا الطريق لا يشع منها سوى صوت مخلوع وصدى مبتعد، يشع منها جلد هو في أحيان جسد السماء نفسها».

في أول حديث لسنية بمناسبة نيلها جائزة النهار للشعر، أجابت على سؤال، ما هو طموحك الشعري؟ بالقول: « ليس لي أي طموح من أي نوع كان. أنا أعجز من أن أغير العالم أو أجمّله أو أهدمه أو أبنيه، كما يقول بعض الشعراء. أحس أنني كمن يتكلم في الحلم. ماذا يؤثر في العالم الكلام في الحلم؟ وباختصار ليس لي أي طموح من أي نوع كان. فقط أسترخي وأترك زحام العالم يتدافعني كشيء صغير جداً ولا وجود له. إنما أحتفظ لنفسي بحرية الحلم والثرثرة».

« ماذا يؤثر في العالم الكلام في الحلم؟ » هذا هو بيانها. وأختار

هذا الحديث لأنه كلامها العفوي الأول الذي يسبق الاطلاع على تراث  
الجدل الشعري وسجلات الحركة الشعرية الحديثة. أورد هذا الحديث لأنه  
يكشف تعويلها على الشعر لقول الحلم، لقول ما لا يقال. ما يقف على  
حافة القول، أي ما قبل الانتظام في منطق ومألوف ومعترف به ومتفق  
عليه. ما لا يزال في نطاق الأضغاث والمبهم على حافة الحالة السديمية.

ونعرف أن الشعراء أو المصنفين شعراء لم يكونوا الوحيدين الذي  
لجأوا إلى الشعر لقول ما لا يقال. فهناك الصوفيون أي الذين فارقوا  
المنطوق الحرفي للشرائع والقوانين في اتجاه الحدّث والاستبطان والبديهية  
والحلم والتأمل وما يتجاوز النصوص والحدود والأحكام.

هذه الحرية وهذا القول الطالع من عمق الحلم سيقدمان، مع مرور  
الوقت، عناصر لرؤية العالم أو لإعادة تشكيل صورته في وعي الشاعرة.  
فجأة تفجر ذلك الضمت الطويل، رمى الحجب وكشف عن تيرانه  
التي احتلت الأعماق. «الزمان الضيق» ذاك هو هاجسها، فكان عنوان  
ديوانها الأول. الزمان الضيق الذي لا يكفي لردم الآلام، لا يكفي لكشح  
الظلام عن جسد السماء.

سئلت مرةً عما إذا كان شعرها يُصدر عن تجربة أم عن ثقافة،  
فأجابت: «الشعر عملية عبور النار، اشتعال الجسد والعقل والمحيلة  
بَحْمَى الكشف. والبرق الذي يفاجئ الشاعر في أثناء ذلك لا يعنيه حدود  
ما يجري وأهدافه».

وعلى الرغم من أن الشعر كان يستغرق حياتها وهما فلم تهتم أبداً  
بِعزلتها الشعرية. حتى لو كانت قد نالت جوائز على ثلاثة من أعمالها،  
فما كان التقدم للجائزة إلا كنوع من نداء «أنا هنا».



عاشت مغلفةً بيقينها الشعري، متعلقة بالأمل الذي يجيء من لدن الشعر، بل لا تئذ بعصمة الحقائق الشعرية وبهاء هذا العالم الذي أعطاها مفتاحه وأجزل الوعود. كانت معتدةً بهذه العلاقة الخصوصية بالشعر، بل بالعلاقة شبة السرية مع الشعر، بعيداً عن المنابر والأضواء والعناوين. كان الشعر وعدّها وعزاءها ومفتاح السر. ونكاد لا نلمس مرارة أو خيبة إلا في قصيدتها الأخيرة «غراب يطلب الغفران» التي تنتهي بعبارة مبتورة:

«العاصفة سحبت خيط الكلام من فمي ،  
ملوئاً بالدم منذ ملايين السنين  
قلت . . .»

لا أعرف إن كانت لو أمهلها الموت ستكمل العبارة. أم لعلها تركتها لتعلن أنها حملت اللامقول إلى عالم الغياب؟

\*\*\*

### حول شعرية سنية صالح

قُرئ شعر سنية على نطاق ضيق. وهو شعر على حدة وسط أمواج الشعر المتوالية. ومع أنه يرسم عالماً كاملاً متكاملًا فلم ينظر إليه ولا مرة في إطار شعر «الرؤيا». مع أنه يحمل رؤيا، وإن كانت ترتسم عفويًا وتفترق عن الرؤى التي توهجت في الشعر يومذاك. في الرؤيا، كما تلوح في شعر سنية صالح، تتواشج العناصر والكواكب وتوارخ الطغيان؛ تتقدّم حشود الأجنّة والأطفال والدمى وأسراب ملائكة كالعصافير وجياد من الثلج ونساء مهانات وشعراء ومهرجين وعشاق

وعبيد وأبطال حكايات وثور خائنين. وهي تحرك هذا العالم الفؤار وتبنيه بعلاقات وصور سحرية. يتلأأ كل شيء في ماء الحلم الذي يضع العالم فوق أرجوحة تتطاير بين الخارق الخرافي والمهمش والفاجع. مع ذلك فإن قصائدها هذه ليست من الشعر الثائر كما تمثل في مرحلة تاريخية، ولا من الشعر الثوري التعليمي ولا من القصائد التي تتخير إضاءة العالم بلمسات الجزئي اليومي العابر، ولا هي تنتسب إلى شعر النساء كما تمثل حتى الآن، لا إلى أناقته المرفهة وما غلب عليه من العذوبة واللطافة أو الدعابة، ولا إلى خصوصية أحزانه وحالاته أو خصوصية ثورته ولا خصوصية ذكائه ولمحه. وهي جميعها سمات لها، بالتأكيد، دعائمها ولها جماليتها ووزنها.

ففي شعر سنية صالح عالم معطوب ورؤيا جامحة، حتى إنها قادرة في توترها على الضحك وقادرة على التشعث. في شعرها فوران سديم وأحشاء غاضبة وخيال طفولي. أقول هذا لمجرد التوكيد، مرة ثانية، على اختلاف هذا الشعر وجدته وخصوصيته دون أي استهانة بما عده.

إنها من هؤلاء الشعراء الذين الشعر عندهم، كالأمومة، فعل وجود. وهي ألفت بكيانها في الشعر: كان فعلها السياسي والعاطفي وكان حربها وصراخ جسدها وروحها، كان ثأرها وخشبة الخلاص.

هو شعر على حدة لا يشبه أحداً وليس منضوباً في تيار. شعر لحزن متوحش ينبجس من الجوهر الأنثوي الخالق المطعون المسحوق عبر التاريخ. شعر هو صيحة جسد الأنثى نبع الحياة، الجسد الذي عبر فوقه الأباطرة والبطاركة، الآباء، الأزواج، الغزاة، المحاربون والنخاسون وكل ذي سلطان. ولسجنه واستغلاله وحتى تشويبه ووصمه بالنجاسة أو

الخطيئة غيروا حكمة الطبيعة وجيروا كلام الشرائع. هذا الشعر بقدر ما ينشد حكاية المغدورين يتقدّم كصيحة للجسد الذي انتهى بين المباحع وأسرة المشافي.

والشعر هنا فحّ الأمل، فحّ التوهم بولادة جديدة، التوهم بحضور متعدّد للأشياء؛ هو «الصُور» المتوهم المرتجى الذي يبعث المعاني النائمة والقتيلة عند أول نبضة شوق. فهناك، مع هذه الصيحة المروعة، يراودك الأمل بعالم يبعثه الشعر.

لذلك لا نجد هنا شاعرية الجملة والالتماعة أو المفاجأة. هنا مفهوم الجمال في صورته التقليدية عائب. لا وجود للجمال النظيف المثالي، ولا لكلمات بمثابة لآلئ جاهزة للنظم. لا زهور في شعرها ولا عطور، لا مروج ولا عيون فاتنة. لا مشاهد لنزهة العين، وحتى لا غزل، الكلمة هنا بريّة قادمة من عالم الصراخ والجروح. من عالم المباحع والثورات ومناهاة التشرد. الكلمة صرخة وجع، لا تنتج الجمال والمتعة بل تفتح المداخل على التجربة. هنا الكلمة رسالة لتقليب الهويات فوق المشاهد الشاسعة لإنسانية مسحوقة. عالم من مشاهد الدمار، مبني بالتضاد، بالجمال المجروح، بالمعاني الكبرى المكسرة الموطوءة، وبما هو خرافي سريع الانطفاء. وهي في هذا تصل آلامها بالمشهد التاريخي لآلام النساء، تبني المشهد الهائل للجسد الأنثوي، في مصارعه وتحولاته، ومعجزاته:

«تهدرين في داخلي كأفواه الأنهار»

ثمّ

«نتألم آلام الفراق الأعظم

نتشجج ونصرخ ،

يتمزق جسدي  
ويحشر جسدك في عتبة العالم الأولى  
(من «ذكر الورد»)  
أو

«نار قلبي تركض في الجهات كلها ،  
(. .)

من أجل أن تولدي ملايين المرات  
في العصور الأكثر غرابةً  
(. .)

(من «ذكر الورد» ، قصيدة «مليون امرأة هي أمك»)  
وأيضاً:

«أيتها اللؤلؤة ،

غمت في جوفي عصوراً ،

استمعت إلى ضجيج الأحشاء

وهدير الدماء ،

حجبتك طويلاً ،

ريثما يُنهي التاريخ حزنه ،

ريثما يُنهي المحاربون العظماء حروبهم ،

والجلادون جلدَ ضحاياهم ،

ريثما يأتي عصر من نور ،

فيخرج واحدنا من جوف الآخر .»

(من ديوان «قصائد»)

فسنية صالح تعمّر المشهد بالمفارقة كأنها تعدّ لفيلم سريالي: أساس من الطفولة والملائكة والدمى والشعر والحب، محكوم بقانون الجلادين. مشاهد تجرح فيما تأخذ القلب بعيداً. مع ذلك ليس الحزن هنا ندباً وأنيباً، بل هو تحديق في المصير. الحزن صدع في أساس العالم.

مع الوقت، بل منذ ديوانها الثاني، تكشّف السحر الخاص في شعرها، وتكشف الفاجع في هذا الجمع بين الطفولي والمأساوي، وهذا البناء لإنسانية معطوبة. ففي قصيدتها تحاورت عوالم الطب والكيمياء والخرافة والطفولة والعذاب والحب والدعابة والهرج وأسئلة المطلق. تعانق في شعرها الجسد المتهالك مع هذا العالم حيناً، أو تصارع معه. خرجت مفرداتها من حصرة القاموس الشعري المألوف. انزلت المعقول إلى اللامعقول واللامعقول تعقلن. الذكريات والوقائع عندها تطيفت، دخلت الخيال، وتواشجت صور وأخيلة غرائبية بعالمها اليومي. حضرت رواسب الخيال الديني والخيال الشعبي والحكايات والأساطير ومخلوقاتهما. جعلت من هذا كله شعبيها، شعوبها، شخوصها الخيالية - المعقولة وبها بنت قيمها وحكاياتها. فالشعر عندها سيمياء العالم. كلّ ما دخل هذا الشعر حوكلته إلى سفر للخيال.

وهكذا بمقدرة خاصة أو بكيمياء شعرية خاصة، استولى شعر سنية صالح على مفردات العلم وصور الطب، على الزرنينخ، والرصاص.. على عصارات الكيمياء، ومبتكرات الفيزياء: الآلات، العنفات، الخراطيم، المضاعد، الكشّافات، سابرات الغور، وكثير غيرها، جميعها مستّها بسحر الشعر واحتضنتها القصيدة.

والبطلتان في هذا العالم الغرائبي، هما شام وسلافة، تطيران مع

أسراب الدمى والملائكة التي مثل العصافير. لكن الشاعرة لا تنسى أن تزودهما بالتعاليم، تعاليم جاءت من عالم الشعر والظلم:

«شديّ جزعك إلى جزعي  
أدخلي عظامك في نفق عظامي  
ثم اسحبي ما تبقى من جسدك واعبري  
ستكون أمامك ممرات طويلة ضيقة  
والحقيقة تكمن في أشدها ضيقاً،  
جاذري أن تنسي أنك ذاهبة  
لتصرخي  
وترفضي لا لتتحنني»

(«ذكر الورد»، قصيدة «مليون امرأة هي أمك»)

حتى لنستطيع القول، كان الشعر مع ابنتها الحبيبة التي تقف بها أمام الله.

تتحرك سنية صالح بين فواجع الحاضر ومناخ الحكايات الخرافية؛ تعبر من الميثولوجيا إلى الذكريات الشخصية؛ من العبث والدعابة إلى المأسوي، ومن الرؤى التي تضيء الإلوعي إلى مواكب الصراع التاريخي. تفتح الجرح الشخصي الخاص على المدى التاريخي والكوني. يصبح الجسد المحدّد لـ «فاطمة ابنة الشيخ»، وهي أمها، مسرحاً لصراع الكون «يشرب ماء العصفور» وترتعش فيه الأمواج. وفيه تصب دماء الحب العاصفة منذ آشور وبابل. كما تفتح المشهد الأنثوي على جوهر الأنثى. فالصورة عندها وعيد بالقبض على الغياب، بخرق الحدود، وإعداد الكلمات لسكنى الأحلام واللغات.

## القصة

الخرافة التي تنسجها سنية صالح في شعرها تمتدّ إلى القصة. ومع أنها في القصة تتحرك تحت ظلال الشعر، فإنها انطلاقاً من هذه الخرافات أو الأخيلة ترسم مساراً يختلف عن المسار الشعري ليقترّب من الكناية الواسعة.

نشرت مجموعة قصصية واحدة عام ١٩٨٢ بعنوان «الغبار»، عن مؤسسة فكر للأبحاث والنشر. ولم يفت الناشر أن يلاحظ ما يقوم بين قصص سنية وشعرها من تكامل أو تماثل. إذ جاء في كلمة التعريف، على الغلاف:

«شعرها مبطن برؤية قصصية تتمثل في نوعية قراءتها للحركة. قصيدتها ترسم لمسار الكائن لحظة يخترقه العالم». و«الوضعية الإنسانية بتوازنها المهدّد أو الذي يُعاد تصوّره هي القضية الأساسية التي تصدر عنها سنية صالح في شعرها وقصصها على السواء».

مع ذلك نلاحظ أنّ قصصها تتميزّ بقدرة خاصة على التقاط الحركة ورسم تحولات السلوك وانقلاباته، حتى لكأنّ الأحاسيس وردود الفعل ميزان زئبقيّ لتحولات عميقة، لصدوع في الشخصية والمشاعر. وهناك خيط واه يفصل بين الأضداد. كل شيء يتأرجح ويوشك على الانقلاب في أي لحظة. الرجل في قصة «الغبار» حالة مدهشة لهذا الوهن وهذا التحوّل. ملاحظة واحدة، أو حركة واحدة، تنقله من حال إلى حال. وحتى الإنسان المتجبر مثل «العم كسرى» في قصة «حمروش» يخضع لهذا التحوّل فينقلب، وهو الجبار القاسي، في لحظة غير منتظرة وبلا مقدمات، إلى الحنان الأبوي. فلا شخصيات جاهزة أو مواقف نهائية في

قصصها. بل يرسم، في هذه القصص، تأرجح الشخصيات فوق حافة حرجة، وتتبع الكاتبة انسيابها وتموجها الزئبقي بين المواقف مع أول لمسة أو محرّض. يتضح هذا في قصة «يوميات طالب غير مجتهد»، كما يتضح في قصة «الغبار».

وعلى كل حال تدهشنا في هذه القصص عودة موضوع «الحمار» المعبذب المرهف المستسلم المطحون بالذلّ والعذاب الصامت: «الحمار» الباحث عن المطلق، في القصة غير المتشورة «الرعد العظيم في العتبة» أو الحمار الباحث عن الحب والحنان في قصة «حمروش». والحمار في القصتين تكفي لمسة حنان لتزيده استسلاماً وتفانياً. الحمار في قصصها هو الكائن البريء المسحوق الذي تنازل عن الأمل وليس فقط عن الصراع. تنازل عن وهم التمرد ووهم الدفاع عن النفس ووهم الخلاص. وفي موضع من مذكراتها تقول: «حمروش هو أنا».

الكائنات في قصص سنية صالح قادها الألم والإذلال إلى نوع من عناق الذلّ وعناق العقاب أو الأمحاء. حتى إنها في انسحاقها تبدو وكأنها لا تطلب غير العقاب والاستقرار في قعر الذلّ (كما في قصة «فصل النار»). بينها وبين النعيم ثارات ومستحيلات. وإذا كانت تحلم بالتقاء «الرعد العظيم» كناية عن العدالة العليا أو الإلهية فهو، هنا في هذا السياق، حلم اليائسين. شخصيات مرمية في مصير بلا حدود ولا شواطئ ولا مسار ولا معنى. شخصيات هي في مقلوب العالم ونظامه وآماله المألوفة وطرقه المرتجاة وأحلامه. شخصيات عبرت محيط اليأس والأمل وأقامت في ماوراء طرق الشفاء والرجوع. أو شخصيات تطارد الأمل وتمعن في التحول لاصطياد الأمل قبل أن تكتشف استحالة الجمال



والحب (كما في قصة «الوردة») أو استحالة العدل (كما في قصة «الحياء»).

ويقدر ما هو شعرها تجاوزاً للمأساة وثورة على الألم، أو على الأقل رسم لعوالم خارقة يتعانق فيها الألم والأجنحة وتحفل بالصراخ والتمرد وابتكار رؤى الأمل، نجد القصص ترسم ذلك الانهزام الساحق.

حيث الكائن المطعون في ما هو أعمق من الكرامة؛ مطعون في معنى وجوده ذاته، يواصل مع ذلك تحولاته ومحاولاته حتى ينتهي إلى التنازل الأخير. فالكائنات عندها معطوبة تحمل نقائصها في ذاتها، حين لا تكون قد استسلمت وتنازلت عن كل حلم ومقاومة.

لكن في ما هو أبعد من الموضوع الموجه تبين هذه القصص نفاذاً وقدرة خاصة على تصوير المواقف والحالات والمشاعر الرجراجة المسنونة المرتبكة الواقفة فوق سراط التحول. وتصور حركة استدارتها الفجائية بفعل لمحة من تغير أو اختلال في التوازن.

باريس - بيروت في ١/١٠/٢٠٠٥

خالدة سعيد

# الزمان الضيق

الطبعة الأولى ١٩٦٤

إلى أختي خالدة  
التي كان لها الأثر الأول  
في توجيهي الشعري

**سنية**

## جسدُ السماء

جسدُ السماء مظلمٌ وحزين  
فليكنِ الليلُ آخرَ المطافِ  
الإضاءةُ وهميةٌ ومؤقتة  
وأكثرُ حساسيةً أجنحةُ الصمتِ

\* \* \*

لا صوتَ لي ولا أغاني  
خلعت صوتي على وطن الرياح والشجر  
الظلالُ أكثرُ تعانقاً من الأهدابِ  
وما من أغنيةٍ تضيءُ ظلماتِ الأعماقِ  
لكن الأصداءُ تدقُّ صدرَ الليلِ  
فأنامُ في صدري

\* \* \*

«كانت للريحِ أهدابُ السكاري ..  
أسلمنا قيادنا ورحلتنا وعصافيرُ المدينة

خلعنا حيوانَ الفرحِ ورميناهُ فوق الأزهار  
الحراذينُ الصغيرةُ تجمّعتُ لتحية الموكب  
الهارب . . .»

ابتعدي أيتها الأصدقاء  
ذَهَبُ النهار لا يدفعُ أحلامَ الغريب  
فليكن الليل آخر المطاف .

\* \* \*

وحيدة رجعتُ وبلا صوت  
أبيع نعاس الغابات المهجورة  
فتصيدني حبال الضحك وتهرب أجراسي  
أعود وحدي أجمع ريش الأحلام المنسية

«عشرونَ والهواجسُ تثقبُ جدرانَ العروق  
عشرونَ تنتحب عند أعتاب الحناجر  
عشرونَ غمخُ الأرض  
نذهبُ في نسغ الشجر  
وما من قصيدةٍ تأتي ،  
عشرون سنة نشربُ الريح

نقيمُ في جذورِ الحنين  
وما من قصيدةٍ تأتي .  
بين التوهجِ والانطفاءِ تركنا رؤوسنا  
فوق حقولِ الصبِيرِ والجلبان  
مرت شفاهُنا ، ما من كلمةٍ تُقال ،

على الأرضِ البوارِ سفحنا مياةَ العروق  
وما نبتتُ لنا القصائد  
ما من كلمة تشعل الحرائق ، تطفى الحرائق  
أطفئوا الشموعَ لتولد الظلمةُ بارتياح  
ذَهَبُ النهارِ لا يدفىءُ أوهاَمَ الجنون

وجهُ امرأةٍ يغوصُ في أبخرةِ الصباح  
جسدُ امرأةٍ يتلألأُ في ضوءِ الصباح

ثمة غائبٌ في القافلة  
رجلٌ يتغلغل في الزاويا الخفية  
من كنيسة الروح  
يحطم دروب الهداية

ويعبرُ مضيقَ الأوجاع . . .  
طويلاً رصفنا الأوهام  
فوق عتبة الروح  
طويلاً تبعنا ضباب الشفاه  
بالمراكب المثقوبة  
أبحثُ عن ريشة أمتطيها ، عن جناح  
السرائطُ يغوص في نزيفِ الحنجرة  
ورثتاي تبلغان حافة الأظافر  
أحصنةُ الجنون تفرعُ صدرَ الليل  
ألوذ في منتهى عصبِ الشم  
وأعبرُ الصَّمَم  
ووجهي ينفتح للهاوية  
لتشحبُ هذه المشاعر  
لتشحبُ وجوهنا المشوبةُ بالملوحة والحمى  
ولتندحرجُ كالخصى إلى القاع  
الصوت العائد يضرب باب الحنجرة :  
«صراخك يا كاساندر  
الحربُ واقعةٌ من جديد يا كاساندر . . .»  
ابتعدي أيتها الأصداء

عشرون نمحرُ العروق  
نذهبُ في نسغِ الشجر  
ننسجُ الأشعار  
لكن الإضاءةَ وهميةٌ ومؤقتةٌ  
ونحيبُ المياهِ الخفيةِ لا يبلغُ روما  
كاساندر، الانتظار لمن يأتي  
ويزوِّقُ جدرانَ الروح  
المللُ لمن يأتي ويفتحُ أبوابَ العروق .

بعيداً فوق طحالبِ الصمت  
هاجرتُ أوجاعي  
في هاويةِ النعاسِ والملل  
دفنتُ أوجاعي  
وها أنا أتدحرجُ كالحصى إلى القاع  
فليكنِ الليلُ آخرَ المطاف  
الانتظار لمن يأتي وبضيءِ جدرانِ الروح  
المللُ لمن يأتي ويرفعُ الأسوار  
المجدُّ لمن يأتي ويفتحُ أبوابَ العروق .  
كاساندر . . .

ألأنني خرساءُ يؤثرنِي الرنين؟



## فصل الحبّ

١٠.

نعيش فصلَ الحبِّ كالحشائش  
نبحثُ عن أرضٍ صغيرة  
وعن حلمٍ صغير  
وحين يأتي المساء  
ننهضُ كالضبابِ فوق الأعشاب  
نبحث عن أشعارنا  
وعن دموعنا الذابلة

اطونني كما تطوي أوراقَ الشعر  
كما تطوي الفراشاتُ ذكرياتها  
من أجل سفرٍ طويل  
وارحلُ إلى قمم البحار  
حيث يكون الحب والبكاء مقدّسين

- ٢ -

أبدأ نحمل فوانيسَ الندم  
نبحثُ عن ذاكرةِ الطفولةِ  
لسنا الجسد ، لسنا الجريمةَ المحمولة  
ولا الروحَ الإلهية

حيث تتعرّى الأحلامُ  
ويستعزُّ حوارُ الدم  
أرسمُ وجهي وأرسو

- ٣ -

لحريةِ الأعماق  
لحريةِ الصخبِ والبكاء  
هذا الصراخُ الآتي من عالم الموتى  
أنحني لأرسم كلماتي بالدم :  
أمامَ الأصابعِ الثرثرة  
تَلَوْتُ صلاةَ الاعتراف  
وأمامها رفعتُ احتضاري ،  
أمامَ البجعاتِ الذهبية

رُسمتُ بحيرات الموت  
فلتهجرِ النسرُ الزرقاءُ  
قممَ الجبال  
وليكنْ كلُّ ما أكتبه بالدم

.. ٤ ..

الليل نسيدهُ شجيَّ  
وليلةُ المحبِّين غابةُ مسحورة  
لنشهدُ لليل الصِّمت  
وليكنْ ذلك عربونَ الجنون  
لتكنْ أبوابُ الانفلات واسعة  
واسعةُ أبواب الهرب  
فالزمانُ ضيقٌ ، وأضيقُ منه  
جسدُ المحبِّين

.. ٥ ..

لظلالِ حي الوردية  
أرفعُ مصباحَ الذكريات ،  
لظلالِ حيي

تخفق الأشعارُ فوق الجرح  
حيث الولةُ سيّدُ اللحظة  
أنطوي فوق جروحي  
لأفكرَ برائحةِ البحرِ والغابات  
برائحةِ الحزنِ والمطرِ  
بالرائحةِ المنسيّةِ فوق الجلد  
وأتركُ كلماتي ترحلُ خارجَ الروح  
حاملةً سهامها الأخيرة  
من أجلِ مجدِ الحب

- ٦ -

هجرتني الأحلام  
والفراشةُ المتعبّةُ  
تَحني قرنيها للظلّ  
كما يحني الطائرُ عنقه  
لوعةً على أنثاه  
والشرنقة تغزل حلمها على أفنعتي

فليجر حبك أنهاراً متوحشة  
ليخترق أحلامي

الحلم يرتعش في طيات القلب  
فأيةُ وداعةٍ تنهّبني  
حين أعبرُك من الممراتِ الخفيّةِ  
أيُّ طائرٍ سيغرّد  
أنشودته؟  
آه ، زهرةُ الرمانِ سريعة الموت

-٧-

النهارُ غريبٌ في مرافئِ  
العاصفةِ  
والبحر يهدرُ في سفنِ المساءِ  
لكنّني أرسو بجناحِ النسيانِ  
خشبةً لا تحملُ عروفاً ، تلتهب ،  
ثم أرجعُك إلى صيحتي  
وأتعفّن في انتظارك .

-٨-

كان الشتاءُ يحومُ حولنا  
كما يحومُ الطائرُ ساعةَ الاحتضارِ

ويفرشُ جناحيه التُّلجيين  
كما ينشرُ البركانُ رمادهُ الملتهب  
بين النجوم  
كنا نُسرِعُ تحت المطر  
نسرِعُ ولا شمسَ لنا  
ننشرُ تحتها أجسامنا الرطبة  
لا شمسَ لهذه البنفسجات  
ذات الأعناق الملوية  
بأقدامنا المنهكة  
كشفنا الصقيعَ عن وجوه  
الموتى  
حين كان الليلُ يحملُ بيارق  
الزهو  
من أجلِ الحبِّ وسفرِ النجوم ،  
من أجلِ الحبيبة  
هذه الصلوات الطويلة

.٩.

... وتمرُّ أجراسُ الكآبة

مع المساءِ

حين تفتحُ المراتُ عيونَ القرى  
كفوهاتٍ مليئةٍ بالدم  
أنحني لصخبِ المياهِ الخفيةِ  
وأرفضُ عبوديةَ الدمعِ  
وعبوديةَ النارِ

لا شيءٌ غيرُ الجمرِ  
كلُّ أحبائي فيه  
أو راحلون إليه  
مزقُ الخزامى الوجيعه  
والمصاييحُ المطفأة  
في منفى القلبِ

## الصيف

جئناك أيها الزائر الاستوائي ،  
نعشقُ رائحةَ أرضك ، نلبسك ،  
وننام . في نومنا حريقُ الصبوة  
لوجهك أيها العاشق المليءُ  
بالحكايات والضجيج

تملؤنا صمتاً وعرياً ،  
تنسحبُ على صدورنا ،  
نذهبُ في عروقك ،  
نقتفي أثرَ المرأة التي أكلتُ قلوبنا  
أنت يا من شددتنا إلى الأنهر  
والجبال ،  
إلى المرأة الأكثر سمرة ،  
وهجرتنا سهول الشتاء .



حبك ، الصمتُ في أعماقنا ،  
حبك يحملُ إغراءً حزيناً  
يبحرُ بنا صوبَ الأثداءِ المتكسرة ،  
صوبَ سماءِ  
من عرقِ النساءِ ، وأنفاسِ  
الزنجيات ،  
لها نغني ، لعرينا ، لك ، إذ تبحرُ  
في عروقنا ولا تعباً بالمرأةِ فينا ،  
أيها الحنين العابت .

\*\*\*

جوارِ غريبات ، نحن ، في عرباتك  
الهاجرةِ أرضنا  
أغنياً ، صواريك البيضاء ،  
نغني ، لا نبتسم  
نهجرُ ثيابنا ، نلبسُ الحياء ،  
يا رداءنا الكبير  
لأنَّ عرباتنا تحترق بين الغابات  
نهجرُك أيها الصيفُ الداوي  
في قلوبنا ،  
ننقلُ إليك حنينَ العجائز

## احتضار امرأة

- ١ -

الخريفُ في الغابات  
بين الأوراق

الليل يهبطُ أطرافي  
ويُعتقني البكاء

عاجزةٌ أن أعيدكِ إلى مخيلتي أيتها الغائبة ،  
فأيةَ عبارةٍ حكيتِ للأشياء المنسية  
ساعةَ المغيب

آيةَ ورقةٍ ضمنت لحظةَ  
البرودة

وبأيِّ حوارٍ فاجأتكِ الفصول

يا امرأة هائمةً مع أنين الليلِ والمطر  
وأيةً كآبةٍ تزرعين  
وأنتِ في الظلِ؟

-٢-

لنضمَّ رؤوسنا ونصلَّ  
أمام طيور الليلِ  
لأن سفرَ الموتى شاقُّ  
وبعيد

والمرأة مطروحةً على سريرِ  
الشوكِ  
والشعرُ موجٌ من البحرِ  
وموجٌ من الدمِ

للخريفِ رائحةُ الموانئِ  
الزنخةِ  
وغيرُ مجدٍ جنونهِ  
فلنضمَّ رؤوسنا وتَبكِ

أمام جسدِ المرأة  
ونرسلُ صراخاً عالياً  
حتى ذُروا القلب .

لقد احتضرتُ بقساوة الطائر المذبوح  
ورحلتُ  
كما يرحل النسر المنهزم  
مع أثنائه .

- ٣ -

لأن السماءَ أكثرُ تعاسة  
من عيوننا  
والنشيح يهزُّ أعماقنا بالسياط  
فلنلو رؤوسنا كالبحجج الغريق

المرأة متوجِّةٌ بجراحها  
والصيادُ يطاردُ ظلَّهُ  
الفارسُ يصطادُ جراحه  
وأنتِ أبداً يطاردُك الموت  
سيوفه الحزينة .

دموعنا متكاثفةً من أجلك

كسفنٍ مليئةٍ بالغضب

لأفكارك رائحة الرعب

« كانت تحمل رعباً خفياً

بين نهديها المتعبين . . »

يا حبيبتى ، موتك هزيمتى الكبرى

وعويلُ بشر لا نهائي

. ٤ .

إنها الغابة الشاحبة

حيث الشجرة تنقضُ الشجرة

والكلماتُ الكاذبة ترضُ على القصائد

حيث الفراشاتُ مصلوبةٌ فوق نيرانها

والحبُّ معلقٌ بين الأشجار

يا حبيبتى ، يا أميرة الموتِ والأطفال

صدرك ملطخٌ بدم الأباطرة

وموتك هزيمتى الكبرى

## أحزانُ العَصَافِيرِ

١.

حين تنطلق العصافيرُ الأسيـرة  
تضاءُ كالنجوم  
وترفعُ أشجارُ الخوخ  
أغصانها عاريةً تحت الثلج

٢.

العصفور الذي يولدُ مع الليل  
يغرّدُ بين قلبي وقلبك  
وحين يجفل ، نضيع .

٣.

أولدُ مع الظل  
وأموتُ عاريةً في الضوء

حيث البنفسجُ هو الذكرى الوحيدة  
من بقايا الروح

. ٤ .

حلمتُ بالابتسامات القديمة  
رفعتها للنار  
فصار وجهي رماداً

. ٥ .

لأجلكَ يا حبيبي  
سأصيرُ أحجية  
سأحمل أوراقِي ، كلَّ أوراقِي  
وأحرقُها  
قبلَ ما يفاجئني الندم  
قبلَ أن يفتحَ البابُ على الهاوية

. ٦ .

ولدتِ من الضوءِ يا امرأةَ العاصفةِ  
وإليه عدتِ  
ونسيتِ سوطكَ على الوجهِ

.٧.

القشُّ يفرطُ حَبَّاتِ الصمْتِ  
والطائرُ القرمزيُّ يفرشُ جناحيه  
وَيُنْهَضُ الأَسْرَارَ  
وتغيبُ صورُتُكَ تحتَ أضْلاعي  
وذاكرُتُكَ تضغطُ أنفاسي  
حتَّى الاختناق .

.٨.

في الشتاء  
تنامُ أفكارُنا وورودنا  
كما تنامُ العصافيرُ الآتيةُ في أواخرِ الليلِ  
وهي تحملُ الخوفَ والانتظارَ  
بين أجنحتها الصغيرة .

.٩.

حينما تحلمُ الطيورُ الصغيرةُ  
ويغمُرُ مناقيرها الورديةُ  
جناحُ مبللٍ



تترك رؤوسها للريح  
حيث تَمُوجُ باتجاه الحلم .

. ١٠ .

ترتعشين كالعصافير  
إذ تضرب خواصرها أجنحةُ الريح  
والمطر  
فوق أحزانِ المساء  
أراكِ مُطفأةً .

. ١١ .

قبل أن يدركني اليأس  
أقفلي يا صغيرتي ذراعَيْك الخائفتين  
حولي  
وارمي مفتاحهما في البحر  
وأغلقني دهشةَ عينيك بعيني  
كي لا تَريَ أصابعي تُرسم  
على الحراب  
كي لا يفاجئكَ العويل

يا ساحرتي  
يا امرأةً تغزلُ شعرها في الشمس .  
من أجل الحزن والسفر عبر الأنهار  
من أجل الحبر الممزوج بالدماء  
رفعتُ وجهي بريئاً  
كعصفورٍ يرتعش تحت المطر .

## أغنية زنجية

أيها الغرباء التائهون ، صمتاً  
أيها الباحثون عن كنوز الموتى  
ومناجم الخراب ، صمتاً  
صغاري منشورون في صقيع  
الحفر

أشمُّ رائحةَ احتراقي  
أتيةً من غابةِ الموت  
أتيةً تهدرُ على الدروب  
وأنا وحدي الضحية

عندما يموت الشعاع على جبيني  
وينطفئُ الضوء  
تبدو «رونزوري» شاحبة

«رونزوري» الجرداء ، حزينه أبداً  
بلا زمنٍ ولا عطور  
وجهك يا «رونزوري» عتيقُ النحيب  
من مجاهلِ الصقيعِ جاؤوا يتهبونك الدفء .

عندما يموتُ الشعاعُ في صدري  
ينهضُ زنجيُّ لينقرَ طبله  
ويُنشدُ للدمِ الأغاني  
وما من راقص :

«لأن لمامحي بدائية الأرض  
بكيث ، حملتُ شقاءَ التراب  
لأنني زنجيُّ لم تعدُ زوجتي لي  
أكثرُ سعادةً تلك الخزفةُ  
المرميةُ إلى القاع»  
صدرُ الحبيبة عار  
والزرافاتُ حبيسةُ الهلع  
أه ، لم أعد أملك ليلي .

## أغنية للجزائر

من أزقة المدينة يصاعد هزيم

النهار

والنهارُ يستيقظ في أسرةِ الأطفال

مُبَعَثُ الخصل

يحملُ خفَّهُ

ويسير

يلطخُ بالفضةِ الدروب .

صخبُ النهارِ يطعنُ أعلامَ

المساء

يُسرجُ أعوادَ القصبِ

الدربُ تأكلُ الأقدامَ الصغيرة

وأنا أسير

بلا ليلٍ

وطنِي وراثي

والرياحُ قافلتي الكثيبة

\*\*\*

أبطالنا يحلمون

خلف العتبة

والسيفُ يعانق الجرح

من سراديبِ الرَّعب

يتسللُ ضوؤُنا شامخاً

كعصفور

أكثرَ دفناً من عنقِ طفل

فاعبري يا أفراسنا المخمورةَ برزخِ الموت

اجمحي

أيقظي الحجر .

\*\*\*

مطرٌ ولا ربيع

مطرٌ على بلادي ، مطر

افتحوا الأبواب ، مطرٌ على بلادي .

اعجنن يا نساء وهران

خبزاً للعائدين

رَصَعْنَ السراويلَ بالقصب .

\*\*\*

ألفُ حصان يصهلُ في دمي

أُتدرِّعُ بموتي

أرضعُ جوعَ الذئاب

أمتطي شعَرَ الريح

ألبسُ الليل

مطرٌ ولا ربيع

اجزُزْنَ شعورَكن يا نساء

نواحِكنَّ يا نساء

واغسلِ الأرضِ يا نبيدنا

لحمُ أطفالنا وليمة

لحم أطفالنا يفرخُ الرعب ،

قوسُ الرعبِ فوق المدينة

يبحر في عينيك يا وهران ،

حِزْمُ المأساة

في ظهورنا

مظلتنا موت

موتنا مطر .

\* \* \*

هذيان ...

الغرابُ يعانقُ جناحه  
والدَّمُ ينبعُ من الأرض  
الصلبة

\* \* \*

هذيان ...

أَلْبَسُكَ  
أشربُكَ أيتها الحرية .



## نشيدُ الأصوات

نشيدُ الأصوات :

تتألقين يا قشرة السنديان  
إذ تنشدين قصائدَ التراب  
وجهي يسقطُ في النحيب  
فأتفتِّح عاريةً كأزهار القطب  
تتألقين يا قشرة السنديان  
حين يزهر وجهك في النحيب

رجل السفر

الحسنُ غائبُ  
ذُبلتُ امرأةُ الروح  
وغاب شعاعُها الأخير  
تاركاً أذياه للظلمة

نشيد الأصوات :

الحركة غير مجدية  
ولا صراخ يُسمع من غرفِ الحواسِّ  
رفعنا أجسادنا ممراتٍ للحرائق  
وحرائقنا يعبرها البحر

رجل السفر :

لأنك غابةٌ تعرّت للموت  
وفتحت ممراتها للهاربين  
أهجرُك  
أهجرُك يا امرأةً نابعةً من التراب

نشيدُ الأصوات :

تحملُ هذه الأغاني شحوبها  
وتهربُ خلفَ مرايا الروح .  
لنبك في رسالةٍ إلى الأرض

رجل السفر :

شربت موتي

يا امرأة الروح والجرح  
شربت موتي وانطفأت

امرأةُ التراب :

جامعٌ وجهي وراءَ الريح  
وأطرافي على البحار  
أطيرُ إليكَ أطيّر  
ولتحترقُ بعد ذلك الزهورُ والأحلام  
ولتنزف دماي ما شاءت  
الجروح  
فالمجدُّ مرصعٌ بالهزيمة  
ومجدُّ الشيطانِ في الغبار .

## حَقَائِبَ السَّفَرِ الْأَخِيرِ

لوحوشِ أفريقيَا  
ولأعشابِها النحيلةِ  
أمنحُ حَقَائِبَ السَّفَرِ الْأَخِيرِ  
ثم أرفعُ مناديلَ الحبرِ  
ورسائلَ المحبينِ  
وأرميها إلى الغرَفِ السفلى من نهرِ السفرِ  
حيث لا شيء يغسلُ سأمَ الفراشاتِ  
الزرقاءِ ،  
لا شيء يغسلُ أوراقَ الغاباتِ  
أوراقَ الصُّعْتَرِ والزعفرانِ  
لا شيء يغسلُ دموعَكَ يا صغيرتي  
ولا أملك سوى النحيبِ

حين أرحلُ في نهرِ التعب  
في نهرٍ يحملُ رائحةِ الوديان المهجورة  
والأسفارِ الصعبة  
حيث تحملني المياهُ الذهبية  
بكل أحزاني  
لأدفن ذاكرتي في ترابِ الغابات .

## الجرحُ والرؤيا

وردتان من النعاس ترُعثان  
فوقك يا وسادة  
وردتان ذابلتان  
رأسي وهذا المساء  
عندما يهوي جناحُ الرؤيا  
ينزفُ الجرح  
قطرة ، قطرة

قطرةُ الدم ولادة  
قطرةُ الدّم ارتواء  
قطرةُ الدّم حزنٌ وحزن  
قطرةُ الدّم رحيل  
الجناحُ الجريحُ يهوي  
في أعماقِ الأعماقِ  
وتنطقُ اليقظة

## الموتُ العظيم

ثمّة امرأةٌ تحبُّك إلى مراهاها  
الأنيقة

لها أهدرُ مسرّتي وزرقةَ أسمائي  
الأخيرة

أسترجعُك من مخيلتي  
قبل أن تُلغى

أنفضُ ريشك من رطوبةِ السجن  
أمرغ وجهي على جناحك الورديين  
وأطلقك ورياحَ الحب  
لتحترقَ فوق العتبات العليا  
من أبوابِ الشمسِ الأخيرة

\* \* \*

أفتحُ أبوابي لأسماء متناقضة

تحميلُ لوجهي وأعضائي

الهرمة

موتاً عظيماً .

لـ

سـ

رـ

يـ اـ

سـ

سـ اـ جـ



## البراري النَّائمة

البراري النَّائمة منذُ الولادة  
يوقظُها كناريُّ ضائع  
والأشجارُ المتعبَةُ من الصمت  
ترفعُ سواعدها المائية  
لطيورِ الجليدِ والبحيرات .

الأشجارُ البائسة تفرشُ أحضانها  
لحَيرةِ الأرضِ والخريف  
لغضبِ النجومِ وأحاديثها الطويلة  
عن السفرِ والصقيعِ

× × ×

تستعرُّ حصائِكِ في القاع  
أيتها الذاكرةُ الحزينة  
وتلبسينِ المرارة

لكن المرأة التي تملكُ البكاءَ وحده  
أسيرةٌ أبداً  
فامنحي عريكِ للجبالِ الخجولة  
وارفعي مفاتنك  
حيث السرُّ مدفونٌ في كنائسِ الشتاء .

٤٢

٤٣

٤٤

٤٥

٤٦

٤٧

## المُساَفر

من يسكن وراء حدودك  
أيها المسافر؟  
من يلوّن حوارك  
وأنت ترفع رايةَ العُبور وتناهى  
خلف أصدافِ البحار  
خلف زعانفِ أسماكها  
خلف سُفُنِها المشحونة بِالجرِيميَةِ والغفران؟  
وحينما يعانقُ صوتُك نشيدَ الرحيل  
أرفعُ حساسيتي الخجولة  
زهرةً لأحلامك

\* \* \*

هَبْنِي السكينةَ لأعبرَ النافذةَ  
نحو السَّحرةِ  
بعيون سوداء تغمرها الدهشة

والانهيار .

مسافر؟ وهكذا تفرُّ العصافير

الزرقاء

تحملُ رجائيَ الوحيد وتهربُ

\* \* \*

أعود وحدي مع طيورِ الشمال

إلى أعشاشِ الجليد

لأقيسَ عويلي وعضوني

من الظُّفرِ حتى الروح .

## سريرُ النهر

اللوحةُ أبداً يزيئُها الدم  
والنهرُ الذي يتبعُ الخرب  
ويدخلُ فراغَ الزبد  
وحدهُ المسافةُ التي تُنبِتُ العصفور

«أيها الأحباءُ الراحلون  
إلى المرافئِ الخفية  
لحظةً وداعٍ أخيرة  
قبلما تبجرون صوبَ المضيقِ ،  
وتخلعون النهارَ عند الشاطئ  
حيثُ اللائئِ  
وحطامُ سفنِ الأنبياء  
رويداً أيها الأحباء  
يامن ترحلون على سريرِ النهر

والسعالُ يزحفُ من أقاصي الشتاء  
يرفعُ وجهي أبراجاً من الضباب  
ويُغلقُ المراكبَ على النهار  
رويداً ،

فالليل طويل في البيوتِ المهجورة»

## أرض الصمت

الشمسُ في غيابٍ عن أرضِ العطاءِ  
والإثمُ كبيرٌ لمن يدنُسَ الفعلَ العظيمَ  
هذا المنعطفَ بين الثوارِ  
والأرضِ .

لأن الصمتَ مقدّسٌ عند السيّدة  
كيومِ الحب  
تنامُ الجراحُ على ضوءِ الشموعِ .

## جذور الرياح

رياحُ البحرِ تخطفُ الأنفاسَ  
لكن الشقاءَ خمراً معتقّةً  
وهذه الفصول ،

أبدأً هاربةً إلى عالمِ الترابِ  
ألملمُ جناحي ، وأسقطُ  
كما تسقطُ رؤوسُ الأزهارِ  
شاحبةً وبلا جذورِ

صفراءَ آتيةً من خريفِ الأرضِ  
مسحورةً برياحِ البحرِ

«ترابُ شاطئك ذهبُ الندمِ  
أحلم بك سيداً ، أهربُ إلى عنفك  
وتطويني بعيداً عن العاصفة» .

لأن الفصولَ أبدأً هاربةً ،

لن يحملني زورق للرجوع .



## رسالتان عبر المساء

- ١ -

«صدري رمادٌ يلهب  
وذكراكِ عاصفة من الدموع  
في مفاصلي  
ذَبُل الصيفُ في العيون  
الضاحكة يا حبيبتي

\*\*\*

لهفتك رمّدتني  
وحريقي أضاءك  
جعلك أكثر تألقاً من زنابق الماء»

- ٢ -

«عيناكِ يا حب  
طيفُ غربة

وجرحان عميقان .  
بعيداً في أعماقي تبحرُ سفنك الكثيبة  
تحمل حبك واسمك  
وترفعُ اللوعة كالصواري العالية  
آه ، مطرُ الجسمِ النحيل  
أوجعَ رحيلي  
وأنا أنسجُ لك ذكرى عبرَ المساء  
كطائرٍين غربيين يحومان فوقَ أوجاعي» .



# حبر الإعدام

الطبعة الأولى ١٩٧٠



## الدماء الدافئة

حطّ الربيع في قلبي

وعلى الأشجار

بنى أعشاشه الدافئة مثل الدماء الطرية

لا أعرف متى حصل ذلك كله

ما أعرفه

أن الشتاء تدفأ بجسدي

هطلت الدموع المرتجفة

واختفت بين الخصلات .

ربما ابتسامتك هي السبب

ربما النجوم التي شعت من أعماق ..

أعماق صدرك .

تسربت إلى قلبي

عارية وعذراء

أشرقت ثم غابت في الليالي

العاصفة ،

حلمت كما حلم الطائر بعشه

ذي القش اللامع

أنا المرأة التي ارتبكت

عندما فاجأها الحب .

أيها النسر الممزوج بالغابات

والأمطار

لِمَ هجرت عشك الأليف؟

وفي أية سنديانة؟

ها هو طيفك الوديع يمتزج مع مد البحر

\* \* \*

وأنت مسور بأحلامك

هتفتُ أن امنحني فرصة الحب

والبكاء

فرصة النجاة من الموت والنسيان

أنت يا من اعتصم قلبي الشقي

في صدرك

بين أحزانك فقدت دموعي

بين أمجادك خلفت أنقاضني

وها أنا أنزف .. أنزف  
من أعمق الجراح ،  
وحياتي تسيل كالمياه الشاردة  
والريح ما هدأت  
أبدأ ما هدأت .

\* \* \*

أنت يا حرיתי  
مشدود كالحراب إلى قلبي  
لنتبادل النظر  
عبر آلاف الأميال من الظلمة .  
إنني أبصر عروق الفراشات  
ونسغ الزهور  
أبصر لهيب الحب  
يتدفق حاراً ومذعوراً .

\* \* \*

أيها الأفق الذي أرنو إليه  
ساعات الحنين  
يا من لفحني هجير عينيك  
أنتظر أوبتك من الخروب



وأنت مطهم بالانتصار  
وجناحاك بلون الليل  
فوراء الفزع والفراق  
يزغب ريش الأمل والعودة  
لكن صراخي  
ما فعل شيئاً  
لا حرباً ولا سلاماً  
والربيع الذي سميته حباً واندهاشاً  
رسا في أعماق البحر  
وكأنه السفينة المنتحرة

\* \* \*

مساء الخير أيتها الشجرة  
البالغة الصفرة  
ليس لنا الخيار بمجيء الليل  
عبثاً تنتظرين تحت المصباح ،  
السماء مغلقة بالظلام  
والأرض مدوسة بالصمت .

\* \* \*

مساء الخير أيتها المنازل المسورة

بالليل والغياب  
هو ذا العشب ينبت  
على آثار خطواته وظلاله  
هو ذا ، ليلُهُ فُصِّلَ عَنِ لَيْلِي  
وشراعهُ عن شراعي  
والريح طوّحت بأعشاش الصيف  
عبثاً نحاول بناءها من جديد  
فالأوراق تناثرت  
كما يشتتهي الخريف وحده

\* \* \*

عندما غنى البحر نشيد الأسرار  
تطلّع إلي بعينين موجعتين  
كأعين المحبين  
وكالجندي المنهزم  
وطئت الأرض وتعثرتُ بالأعشاب  
وقد لاحت المسافة بعيدة  
والطريق أكثر برودة  
من أن تتحملها قدمان مسافرتان .  
وتجبيء ساعة الغياب في طريقي  
كفاصلة بين كلمتين عن الحب .

## حطام النافذة الوحيدة

لا تأتي الليلة كخفاش حزين ،  
حاشراً رأسك بين حاجبي ،  
لقد أنكرنا بعضنا ساعات اليأس  
والاندحار ،  
عبثاً يرتطم الوجه بالوجه  
أو القلب بالقلب ،  
دع النار في رقابها  
أو لتشتتها الريح حيث تشاء  
لا شيء قادر أن يدفع تلك العينين  
الباردتين .  
جميع الجهات خانتني  
ومتاعي ملموم تحت إبطي ،  
تشاء . . . تشاء . . .  
علّ ذلك الليل يمضي ،

أنت تُسرِعُ وهو يفوقك سرعة ،  
الوهن يفتك بك  
وعزمه يشتد كالسياط ،  
وهذا الضباب الذي يحجبني عنك  
ما هو إلا رماد حينا .  
هات راحتك يا قبري الأمين والذكي  
هات ظلامك ،  
أنا المرأة المصابة بالذعر .  
طعنة واحدة وتغيب شمس الجسد  
والروح .

## حبر الإعدام

جوليا أبينولا كاهنة شابة ، ماتت بعد وفاة  
أبيها بقليل . حكم عليه بالإعدام . حاولت  
عبثاً أن تظفر بالعفو عنه كُتِبَ على قبرها :  
«جوليا أبينولا ، هنا أرقد كخلف بائس لأب  
بائس ، وأنا كاهنة في خدمة الآلهة ، لم  
أستطع أن أنقذ أبي من الموت بصلواتي . وقد  
عشت ثلاثاً وعشرين سنة»

باللون الأخضر الحزين بدأت ربيعاً

آخر

الريح هي أمُّ الليل

والأرض الجريحة مغمورة بالزهور

كالنعشِ الصغير

والغناء يقوى كضربات

القلب ،  
لكي تكون عظيماً ، أيها العاشق ،  
تخل عن سوطك  
وتوار في الغابات  
وعندما يطلُ الصيفُ من أعشاشه البعيدة  
الزرقاء ،  
يتوهج جسدي بنار الأفكار  
يختفي ضجيج العالم خلف صنجب  
دمي ،  
فأين حبرك المنقذ أيها التاريخ؟

مع الصيف ، جاءت طيور ملونة وعذراء ،  
سيرت المركب ،  
خططت أحلام الشعراء  
وبمناقيرها الوردية رسمت شريعة للحب  
وللغناء .

وأغرق الأطفال رؤوسهم الذهبية  
في صدورهم ، كبحجج البحيرات ،  
بحثاً عن قلوبهم وأثدائهم الوردية

لكن الأعشاب الطويلة  
ذبلت فجأة  
والسمااء الفسيحة . . . ازدحمت  
بطيور غامضة كغناء جوليا  
كأناسيها ،  
طيورٌ عبرت ثقوب الكتب والهندسة  
ورسائل العشاق .  
وسافرت مع جوليا وهي تغني :  
فرحُ الجسدِ يتهدّم ،  
الأغاني تتلاشى  
والنيران المشتعلة تحتضن بعضها بعضاً  
خوفاً من المطر والرماد .

## الخريف

أيتها النجوم المتراصّة  
كالأصابع ،  
ابسطي راحتيك  
هل ثمة شيءٌ تخفينه؟  
أم هناك فأسٌ تقبضين  
عليها؟  
حذار ، المسافة بعيدة  
والضحية ستنجو ...  
لا محالة ،  
أسند رأسي إلى الحائط  
أرغب بيوتاً تطفأ عن عمد ،  
بيوتك أيها الخريف  
ولا مأوى لقلبي .  
غنّ أيها العاشق



خذ مزمارك النحاسي وغنّ ،  
وكن سلوى لقلبي  
تكاثر في راحتي أيها المطر  
لألهوبك  
وأستحم  
قبل أن أفقد مرحي وظمئي  
قبل أن يبتعد ليلك عن قمري  
كلانا شريدان  
أنت منفي عن سمائك  
وأنا منفي عن أرضي

## دموع الوطن

حذار أن تلعب مع الموت

يا صغيري ،

إنه شرس وفتاك

تذكر وطنك حيثما ذهبت

مرة واحدة تستطيع أن تلمس

ترابه ،

وإن فاتتك الفرصة

ابك بكاءً مرأً ،

تذكر شوارعه وليله

كما تتذكر عينين تنتظرانك أبداً

\* \* \*

الوطن الذي أحمله في قلبي

شيء

والوطن الذي يرفضني

ويطار دني  
شيء آخر .

\*\*\*

كلّ ما يقال خارج الوطن  
لا وطن له  
ولا هوية .

\*\*\*

أيها الوطن . يا وطني .  
يا وسادة القلب ودموع  
الأحداق  
لك القطرة الأولى والأخيرة  
من الفرح والبكاء  
... والدم .

## أصابع العشاق

أيها الرجلُ الشامخ

كالتاريخ

اغمرني . . اغمرني بحبك وملحك

وأمواجك

أنا الغابة الملتهبة بالحب

وأنت طائرٌ يهيم بين جناحيك

كما تغفو النجوم فوق المياه الهادئة .

ومع همساتك أغيب كالشمس الذائبة .

كالسهل العاشق زرعته ،

\*\*\*

تُرى ، أين يذهب همس الفراق

حين يفاجئه المطر؟

ماذا يحلُّ بالنسيم وهو يلامس حزنك؟

أفقت من غيبوتي حين أضاءتني

شمس الخريف ،  
وهبت نسائمه عجلي  
فاليوت الحزينة كالرياح تختبئ وراء الغابات  
صامتة ومتعانقة كأصابع العشاق .

\* \* \*

سلام عليك أيها الحريق المتوغل  
صوب القلب ،  
حيث لا ظل غير الانهيار  
سلام على قلبك المشتعل  
وحده يهب الحب ،  
كما يهب الإله الغامض قلبه ،  
تعطيني أرضك عشبة ، إثر عشبة ،  
تعطيني ربيعك ومضة إثر ومضة ،  
وأنا أتساقط مع هبوب الزمن  
ورقة إثر ورقة  
وعندما لا تطير الأحلام  
تكون الرياح راقدة في قلبي

\* \* \*

عندما ابتسمت عيناك

لصمت عيني ،  
غاص قلبي في ضوء الحب الذهبي  
وطار النسيم هادئاً كفراشة ،  
غنت الجداول الصغيرة  
وهي تبتسم وتنثني بين الصخور ،  
مثل صبي يلهو وراء الفراشات .

\* \* \*

هناك فصولٌ عظيمة لصيد الأعشاب  
وأخرى لحرقتها  
والريح التي تحمل رائحة العفونة  
لن تبلغ الذرى العالية

4

1.

## صليل الأزمنة

في رأسي صليلٌ ووسوسة  
لطبيعة فارغة  
وصيفٍ مليءٍ بالأنقاض والحشرات .  
صليلٌ ووسوسة  
من زمان صدئ  
وقرونٍ جليدية  
من أين نأتي بالريح لنهزّ رياحين الذاكرة  
وللريح أكواخٌ وقارات .  
في أيّ موسمٍ حلّت الريح  
ضيفاً على أشجارنا؟  
في الشتاء جاءت .  
وفي ذلك الشتاء رحلت  
كأميرٍ مهزومٍ يجرجر رمحه  
متهاكاً على الأشجار

يطلب مأوى .

\*\*\*

تلك الأيام الذهبية ماتت ،  
تلك الغرف المزهرة بالشمس ،  
تهدّمت  
ولم يبقَ منها إلا العتباتُ والجدران .  
وها هي بقعُ السماء الصغيرة  
تحمل ابتساماتها العاشقة  
وتنام في عيني .



## البحيرة

لأنه حزين  
ارتدى الأجراسَ الملونة  
قناعاً للفرح  
أوثق نوادره على طرفِ لسانه  
كي لا تخونه في اللحظة المناسبة  
وسار بخفيّة المرصّعين  
وحيداً كالليل  
ولا نجومَ بانتظاره  
سوى عيني  
أيها الطائر المحلّقُ عبر الآفاق  
تذكّر أنّ الرصاص في كل مكان ، تذكّرني  
أنا المسافرة الأبدية  
طول حياتي أغدّ السير  
وما تجاوزت حدود قبري .

## فريس التسيم

هوةٌ سحيقةٌ من الليل  
تفصلني عن جميع الأوسمة ،  
مساحاتٌ شاسعةٌ من صحراءِ الذهن  
تحاصرُنِي ،  
والنسيمُ يسهلُ بجواري كفريس ،  
لكني لا أجرؤُ على الرحيل  
بعدهما أضعتُ طفولتي الذهبية

\* \* \*

ألهبُ النيران حولي ،  
لكن الاشتعال مؤقت  
لا يضيء شيئاً ،  
وأنادي جسدي ،  
تلك السفينة الطافية على الأمواج .  
آه ، عندما أشم رائحة البحر

يصير الليلُ مركباً وحبیباً  
والنجومُ طیور لامعة  
أعشاشها في كلِّ قلب .

شيء ما...

«ماذا تفعل في الحرب؟»

«أهرب»

«أغني مثل غراب»

«أمرض»

«ربما أموت»

«وأنت؟»

«ألتصق أكثر وأكثر بمن أحب» .

## الشتاء

تباطأتِ الفصولُ بين الأوراق  
وخفق قلب الظلام في غيابها  
حتى النباتات السعيدة ذوت ،  
عندما أطلق الشتاءُ حراَبه ،  
والتهبت في الليل المنتهي  
هل الربيعُ يلبس ثياب الجلاّد؟  
أم هو طفلٌ يتنزّه في الحقول؟  
يخلق من النسائم أشواقاً وتنهدات  
ويرسم للأشجار ، تلك الكائنات المملوءة ،  
أقداماً صغيرة لتتبعه حيث يشاء

## فارس الشرق

في معركة الرّيح والخسارة  
فتح الليل ذراعيه للملهوفين ،  
للفارين من نيران الموت .

\* \* \*

كانت القارات تقضم بعضها البعض  
حين حمّله ملكُ الرغبات  
وأغراه بتفتّح الربيع  
... لكن الفارس عاد مدحوراً  
فأي شيء يطفئ النيران المتأججة في الرأس  
والساعات الراحبة بين وجهين غاضبين..

\* \* \*

(حوار بين الدهماء والفارس)

«اذهب وحيداً إلى المقصلة أيها الغريب ،

ها نحن في أقصى غضبنا

ولن نتبعك  
لأننا أذلاء  
وأنت جبان  
ولدت خائناً  
وها أنت تموت خائناً  
اذهب وحيداً ومقهوراً .  
ودعنا نمرح بين الطيور  
وقد شحذت مناقيرها  
وفرشت ذيولها  
زهواً بمعركة الحب .  
اذهب وحيداً إلى المقصلة  
كغابة يلبسها الليل  
لنرفع لك قبعاتنا تحية  
أو إشارة مرور  
لأننا نتشفى فيك ومنك  
ونحب أن نراك مغلولاً ومنهاراً . . .»

«أيها الشقاء ،

لو رميتك أعظم رمية ،

لسقطت في قلبي . . .»  
«هي ريح الجزع تعربد في قلوبنا ،  
عندما كنت مترفعاً ،  
كنا نشعر بصغرنا  
أما وقد ذهب فالعالم عظيم  
للحظة .»

إنه الليل المنطوي على نفسه  
والخيام مزامير للريح والوجوم  
والهزيمة صارت سرج الفارس  
وعنان جواده  
والغابات ، لا تزال ترسل نسيمها وشمسها ،  
خمرأً لأحلامه .

«أيها العالم المتناقض  
والجوال ،  
أيها العالم الزنخ  
لم يثمر ترابك بغد ، الفصول المحرقة هي فصول  
قلبي ،



والخريف في قلبي أشدُّ اصفراراً  
وبؤساً

من خريف الأشجار  
ورياحُ قلبي أشد هيجاناً  
من رياحِ الأشجار»

«في حنايا القلب مقصلةٌ سرية ،  
تنشر رائحتها ونجيعها  
لنموت بين الطعنة والطعنة  
والسفنُ المقروضة من الأعماق  
تبحر شرقاً وغرباً  
كرأس العاشق في محنته»

رَحَلتِ الدهماءُ متوجسةً من جداول الدم  
وقد هرولت  
كالعاصفة  
كنذير الرعب والكوارث .

## حدقتان من العشب

استلم خطواتي يا شارع  
السكون  
وتسكّع معي ،  
ناشراً حكاياك الندية  
على المنكبين ، قبل أن تعربد الريح  
على الرصيف المهجور  
على القمامات الليلية .  
يا شارعاً مملوءاً بالبؤس  
والانتظار ،  
ربما كنت ممراً صغيراً إلى غابة الصباح .  
تتأهب في الليل وفي النهار ،  
ومع الفجر تنشر أجفانك  
كالأشعة  
فوق عينين من العشب الندي .

## الاختناق

كلما اتجهت نحوكِ صارت طريقي  
غباراً ،  
خطوة واحدة وتحتفي ،  
انتحبي بشدة يا أمي  
وبأعلى ما تستطيعين  
لا فضاء إلا حناجرنا ،  
فأين الهواء العظيم ليحمل الصوت  
المتألم؟  
ثم عودي إلي ،  
يا طفولتي البكر والمريرة ،  
يا براري أوسع من خيال  
طفل صغير  
تخفى من الرعب أكثر مما يحتمل قلبه  
المرتبجف ،

قولي للعالم كله  
وأنت تبحثين عن قبورهم في الضباب  
إن الريح وهي تجري كالطغاة  
وحدها تجعلهم يصمتون طوال الليل  
والحذر يقف على أفواههم  
كالحراس أمام الزنانات المضغوطة .  
أتذكرين من خرج في الليل  
ليلاقي الريح؟  
وحدنا الأطفال ،  
وحدنا الرماد الذي لا يهدأ  
ولا يذرى ،  
والآن عودي إلى موتك  
أيتها المرأة الرائعة .

## الانتظار

لينتظر الموتُ ضحاياه  
والعاشق حبيبته  
والليالي نجومها  
والسفن أمواجها الجريئة  
والحرب فرسانها  
لكن وا أسفاه الزمن ملول  
لا يعرف الانتظار

## الظلام

ماذا يريد نهر الحب  
والأنين؟  
بعد أن أوقف جيادي بقوة  
حرايه  
وأنا أكثر وحدة من امرئ  
على أبواب الإعدام .  
تقدّم بخطوات  
خفية ،  
حاضناً أعشابه  
وحصاه ،  
وعندما أخرج قصائده المبعثرة  
تألقت مياهه الزرقاء  
مثل عينين تريدان إغوائي :  
« امرأة من السبايا ،

صلبة ،  
ترفض الحوار»  
واختفى في أعماق الغيبوبة  
متأبطاً قلبي كحقيبة للهموم  
وللموت .

## أغنية مرفوضة

أه... ما أشدَّ حاجتي  
للجنون ،  
القمةُ يكسوها الضباب  
ودربي إليها ليل ومنحدرات  
فأين أمضي ،  
أين أمضي  
وأنقاضُ تتبعني كظلي؟  
أيها الليل... أيها الليل...  
أين أمضي  
ولي خوف الأطفال ،  
امنحني اتساعك ورهبتك ،  
ضوءاً خافتاً من نجومك  
لأخط للسعادة ممراً صغيراً إلى قلبي  
أما من قلب يعشق حزني



«الطيور والرعب والغبار» حيوانات

الغابة البعيدة

تسمع صراخي

ولا تنجديني

أمام العالم الغاضب

أمام العالم الذي يرفض

كل حين ،

ويرفض أطفاله ،

أمام الطغاة والعشاق

أقف مهزومة

والرياح تتبعني

أنا حيوان صغير ، كاسر

لا يروضه إلا الحب أو الموت ،

فامنحني رائحتك أيها التراب الجميل

لعل ربيعاً ما يعثر بقلبي

## البواخر العمياء

لأنَّ الغرَفَ الفقيرةَ سريرُ الشعرِ القاتلِ ،

يتنهد قلبي

ويجف كالأشجار

حتى الأيام الساكنة كالصخور

ترسل ضجيجاً كصفير البواخر

العمياء ،

فأي غبطة نشعر بها

ونحن طافون على بحر من الدموع ،

أي عظمة نجنيتها

وأفكارنا في الحضيض؟

أيها الرامي ،

صوب سلاحك إلى صدري ،

أهمس رصاصك كالعاشق في أذني ،

عبثاً أضعَّد آلامي إلى السماء ،  
فلتبق الطريق إليها خاوية  
إلا من ظلي وصوتي

## كلمات مفقودة

المرأة الملونة ... هي أنا ،  
والبحيرة ذات الأمواج العالية ،  
والرياح ... الرياح هي أنا ،  
أيتها الرياح من أنت؟

\* \* \*

يا من تنشر غضبها كالغبار  
بين الحوافر  
وتنثر ذكرياتها بجنون  
من أنت؟  
يا من تبحثين عن اسمي وجراحي وجنوني  
اذهبي بعيداً ،  
واجرفي أفراح العالم وقشوره  
فأحزاني عصافير ملتهبة  
تحمل شرارات القلب إلى السماء السوداء .

\* \* \*

لأنَّ الحزن مشاع والفرح مشاع ،  
اخترت الجواد الأول  
لأجوب العالم كما يحلولي .  
تارة أسقط مع أوراق الخريف  
وتارة أهيم كالبرق  
في أعالي الشتاء

\* \* \*

السفينة تطير خلف أحزانها  
من شاطئ إلى شاطئ ،  
من مدينة إلى مدينة ،  
ثم تعود منهكة إلى البحر  
كما يعود الطائر إلى عشه  
البحر يتأرجح على أفراسه  
والأصوات الخفية يبارق الثورات الملتهبة

تتنافر الأصوات الزرقاء  
في أعماق البحر وتلتحم  
تستعرض الأسف والانتحار  
وغرقى البحر

وتعدو القوة الخارقة إلى الوراء  
تاركة الوسام للوحل .  
حواسي طيور تنشد حريرتها  
وجسدي ملك لقبوري .  
ثمة قبور كثيرة تنتظر جسدي  
والفضاء نفسه قبر للورود وللفراشات .

\* \* \*

أين الجسور التي تصلنا بالله؟  
بحث عنها في مناخ الجسد فهويت ،  
ومات قلبي رعباً

أطلق رصاصك أيها العالم ،  
أطلقه . . . أطلقه على جثتي . . .  
على أفكارني  
أطلقه حيث تشاء ،

بالصراخ العميق أعلن وحدثني  
بالصراخ العميق أقول ما عذبني  
وأهجر من واساني .

\* \* \*

كل شيء يشدني إلى الهديان ،  
صفعات مؤلمة  
مرح مخادع  
والضعينة كمين تهوي إليه الروح والأفكار  
وصفير الريح يقول : لاشيء لاشيء .

\*\*\*

سلام على الأطفال اليتامى  
لقد امتزجت وجوههم بالوحل والدمع  
وفي عيونهم سطعت شمس الفاجعة  
سلام على الأطفال المشردين في الليل ،  
في البراري الموحشة  
يمهرون الحجارة بدمائهم  
كشارة للرجوع  
أو للضياع الأبدي  
سلام على الأطفال اليتامى ،  
يخبثون أحزانهم بين العشب ويموتون .

## الموت القاطع

يا حبّ ،  
يا ليلاً شديد الظلام .  
نجومك الضائعة  
هي في قلبي .

\*\*\*

يا جمرَةً من الدماء لا تهدأ  
كقلب يخفق بالغضب ،  
هي ذي الأمسيات الذاهبة في وداع  
المسافرين ،  
والليالي تكتسي بغيارِ المسافات  
والنزّهات الطويلة .

\*\*\*

يا موت ،  
يا من تنتظرتني على الأبواب



حاملاً سيفك القاطع ،  
اتبعني . اتبعني ..  
أنا الضحية التي تفتني أترك .  
يا موت ،  
يا من رافقتني في الليالي الطويلة  
هادئاً كقمر ،  
مؤنساً كصديق .  
أية أسرار تنقلها بعينيك؟  
هو ذا صليل حزنك يستوطن قلبي ،  
والصدف تفتح كالجراح في جسدي الطفل  
تخطُّ بناظريك أحراجي الوردية  
واهدأ على السرير الشاحب  
حيث الجنون والانتظار  
جناحاه الأغبران .

## دموع الأميرة

ثمّة عويلٌ يربط قلبي بحنجره الأرض  
والزبد صوتي الضائع .

\* \* \*

قد تكون ثيابي مُزيّفة ،  
ولآلئي مُزيّفة ،  
قد يكون كلّ ما في العالم  
مخادعاً ومزيّفاً  
إلا دموعي ،  
أنا المرأة ذات الأعوام المسننة  
أنزف كجندي بتر رأسه  
وأنا أذهب وأجيء وراء النوافذ العالية  
كأميرة تستعد للهرب  
بعد أن أفسد الذعر فرحي وطفولتي

## الفريسة الرمادية

من أنتِ أيتها الهضبة الرمادية؟  
جسدك الممتلئ بالأنين  
ينهض ويكبو  
كأسير غارق في الأغلال

\*\*\*

من أنتِ  
يا من تجئين أمام الغدر والسياط  
وقد ازرقّ جلدك من الظلم والبرد  
وارتفعت أبوابك الأثرية  
متهدمة ، متآكلة  
أمام الليل الفارس  
وقد صهل جواده وراء الأسوار .

## شجرة تهوي في أعماقي

لريح الشتاء  
صهيلُ الأحصنة الوحشية  
وصراخُ الحيوانات المطعونة فوق الثلوج  
وما من أحد يشهد عذابها واستسلامها

\*\*\*

جراحي غابات في الأعماق  
وما من خريف يشهر سيفه الأصفر .  
فعلى الطائر الوحيد  
أن يخفض رأسه ويطوي جناحيه  
أن يحضن جرحه ويحلّق عالياً  
في كبد السماء . . .  
وبعد ذلك . . . سيّان إن سقطت أشلاؤه  
في حفرة ،  
أو على رابية .

\*\*\*

.. والزهرة التي فاجأها الخريف ،  
تحتضن جذورها  
تنثر دموعها هنا وهناك ...  
رشوة للعاصفة  
كي تتمهّل  
فالوحدة قاتلة  
والشتاء رهيب ... رهيب

\* \* \*

منذ الأبد ،  
نتبادل الحبّ والسيّاط ،  
لقاؤنا مخيفٌ كلقاء السفينة بالعاصفة  
والشاطيءُ بعيد .  
ما من زهور في غابات الحبّ  
أتغنى بها  
وحداتقُ القلب تصفر فيها الريح  
مع الليل أتقدّم .  
مع الفلول والأنقاض أتلاشى  
وطعم السلاسل في يدي .

## أحلام الطفلة شديدة الاحمرار

من نافذة النسيم اللامبالي  
مددتُ عنقي كطائر  
لأرى الطفلة القديمة  
الطفلةَ الشديدة الاحمرار  
ولكنني ما وجدت غير اللعب المحطمة  
والريش المتناثر .

\* \* \*

وعندما هويت  
أتاني ضجيج المدينة صاحباً كالسنونو . . .  
وكأنّ دفاتري غاباته الأولى .

\* \* \*

الليالي المقمرة خلقت للبكاء أو للذكرى  
بين العطور والثياب الفاخرة  
بكت حمامة مدعورة

حمامة قديمة يقال لها أمي  
أنا ذعرها الأبدي ،  
أنا دموعها التي لن تجفّ .  
فيا أيها القلب الطائر  
خلف الوهم  
هذا زمان الجوع .

## الصديقان

سحابةٌ ليست كالسحب ،  
وفارسٌ ليس كالفرسان  
هطل مع الأمطار ،  
سار وحيداً  
قويّاً وبريثاً  
تتبعه ملايين الطعنات  
وهي تلمع تحت نور الشمس .

السماءُ تصنعُ غطاءها الفضيّ  
تُرخي شباكها الذهبية  
ليلهو بها الأطفال  
وهم في طريقهم إلى المدارسِ الباردة ،  
يتأبطون حقائبهم الثقيلة المضجرة .  
فاجأهم الفارس مثل المطر ،



غنى لهم نشيدَ الأمهات المنسيّ ،  
فاختلجت أجنحتهم الصغيرة وطاروا ،  
غرّدوا أعذب الألحان ،  
أرجحهم النسيمُ البارد ، أغراهم بالسفر ،  
والسفرُ نشيدُ حزين  
لا فرسَ له ولا متاع ،  
يطير كالابتسامات  
متخفياً في جنح الظلام ،  
رسمه الفارس هودجاً  
ملأه غيوماً وأشعاراً وحشيّة  
جنوداً وشهداء  
رحل معه بعيداً عبر الأوطان  
حيث لا مطر يبلى منكبّه  
حيث الأنهار تجري كالريح  
لا شواطئ لها ولا أسماك  
والمدنُ غارقةٌ بضباب البحر  
ودخان السفن  
حيث الأرصفةُ أوطانٌ وقصور ،  
غرفٌ صغيرةٌ للحرية ،

وسراديبٌ للخيانة ،  
غنى أنشودته كما لم يغنّها طائر من قبل ،  
سار وحيداً  
فكّر ودحرج الحصى ،  
والضوء واقفٌ على حافة الهدف ،  
يتألق ويرتعش  
على غير هدى ،  
والجليدُ الأخضر يشعّ في كل مكان .  
اللهيب الحزين يتصاعد رويداً . . . رويداً  
من مكان ما من العالم ،  
وأحلام الفارس فراشة من جليد ،  
غيوم مطفأة ومضاءة ،  
أبداً مطفأة ومضاءة . . .

جاء من آخر الطريق ،  
رجلٌ هزيلٌ لا يعرفُ دربه ،  
مثل الريح تدفعه همومه  
رأسه من غبار

وأظرافه عُبار

إذا حييته تهدم ،  
وإذا تغاضيت عنه عاد إلى آخر الطريق  
هزيباً ،  
لا يعرف دربه ،  
سردّ حياته بالطرق المفجعة ،  
فانحنى الفارس لأحزانه  
حتى امتلأت الأرضُ بالربيع  
بالأعشاب الرطبة ،  
وبغبار الأسرار :  
«تغلغل الغبار الكثيف ،  
راسماً أهداباً  
وقلباً بشرياً مزيفاً  
كشركٍ للإيقاع به ،  
وفي أعماق عينيه لمح بلاداً خاوية ،  
أرضاً من الثلوج والصقيع  
تزحف فوقها ريح الجنون»  
نهض الفارس كاتماً أسراره  
مانحاً زاده للغريب .

# قَصَائِد

الطبعة الأولى ١٩٨٠

## الإهداء

إلى أختي خالدة،

إلى ابنتيّ شام وسلافة

ثلاث نجوم تضيء لي العالم

## شام، أطلقني سراح الليل

١٠

خرجتُ تقوِّدُ قطيعاً من اللعب والأطفال  
العراة إلى النوم ،  
«ماريا ، أرى أطفالك يتضوِّرون ، تريثي  
ها هو خبزُ الله ،  
ولا تنسي ، سيخرج القمر ليباركهم»  
فياله من قمر يبَدِّد ليل الولادة .

أيتها الريح ، لماذا تساعدين النجوم  
على الهرب من بيوتها الموحشة ،  
تأخذينها خارج دروب المجرة

-٢-

تغافلين الجميع ،  
وتذهبين بها إلى أمير سانت اكزوبيري  
فنشهق إذ نشاهدها تطير ،  
خشية أن تسقط في الأوقيانوس ،  
خشية أن يقبضوا عليها ويرجموها  
ومع ذلك ،  
وفي كل عام ،  
يقفز عاشق جديد ،  
يمضي بين أزهار القطن النامية على ثوب الليل ،  
وينطلق نحو الأبدية

-٣-

أيتها اللؤلؤة ،  
نمت في جوفي عصوراً ،  
استمعت إلى ضجيج الأحشاء ،  
وهدير الدماء ،  
حَجَبْتُكَ طويلاً . . . طويلاً ،

ريثما ينهي التاريخ حزنه ،  
ريثما ينهي المحاربون العظماء حروبهم ،  
والجلادون جَلَدَ ضحاياهم ،  
ريثما يأتي عصر من نور ،  
فيخرج واحدنا من جوف الآخر .

#### ٤ .

ها هو حصانك الثلجي يطير مجنوناً بنار

المستقبل

تلمع عيناه ببريق الدهشة ،

شيء ما يغريه في الماضي ،

شيء ما يمنعه ويشد لجامه ،

ولكن ،

لو كان المستقبل يُرى مثل السُّحُب

أو الطيور ،

لو كان يُفتح مثل النوافذ ،

لاخترتُ لكِ أعظم الأعمار ،

لكنكِ وارثتني في الشَّقاء ،

لقد أفرغتُ في جوفك حممَ الأيام



ولظى السنين ،  
وها يلسعُ قلبي السكران  
وميضُ النجم الذي يشبهك ،  
وعندما تحاصرُك الرياحُ السوداء  
يحاصرُكِ الأولياءُ الشرسون ،  
أسرِجي خيولك للفرار  
لكن حذار ،  
كي لا يحتال عليك ذئبُ الأسطورة  
كي لا يحتال عليك القمر  
نامي في العراء ،  
حيث نازُ الحقيقة تضطرم ،  
حيث تقلباتُ الزمن  
بخطواتها الخرساء ، تذهب وتجيء  
كَنَمِرٍ يلتقطُ الأرض بأقدامه المُخملية

.. ٥ ..

إنه الشتاء ،  
أو هي الريحُ التي اسمُها ماريا ،  
ثورةُ الأرواح التي لم تحظَ بجسد .

وتلك التظاهرة العريضة في العاصمة ،  
لمنحها حقّ تذوق الآلام ؛  
الجسد وحده يمنحها تلك اللذة ،  
في الجسد تضع الروح بيوضها ،  
فيخرج أطفال شقر ، زرق العيون ،  
يلعبون مع البحر ،  
بينون له قصوراً من الرمال ،  
ويُغرونه بالدخول ،  
ولكنه أذكى من أن يُخدع ،

## - ٦ -

أراك تميلين فوق حافة الماء ،  
ترقبين بدهشة الطفلة الغارقة فيه ،  
وعندما تصيح أمك : « حذار » ،  
تبتعدين ،  
ثم تعودين قلقةً تنظرين وتنظرين ،  
أهو ظلك أم شخص ما هناك  
في انتظارك ؟

-٧-

لماذا تركضين وكأَنَّك تطيرين ،  
تَتَّبِعُكَ جدائلك وذيلُ ثوبك ،  
مهلاً ،

إنه يقترب ،  
ذلك الملاك الذي تَسْعَيْنَ جاهدةً  
لرؤيته ،

ولكن حذارٍ من الفرار معه ،  
دعيني أر ،

رائعٌ . . . رائع كدمية من القطن ،  
ليس كأولئك الذين ينتظروننا في القبور ،  
يغتالوننا برمُحهم الإلهي ، ويفرُّون ،  
وها هي ملائكةٌ أخرى تنتظرُ كالعصافير  
على حافة السماء ،  
ترفرفُ بأجنحتها الشفافة  
ماريًا! ،

هل عدتِ بسربٍ منها ليلهو بها الأطفال ،  
يُعلِّقونها فوق أسرَّتْهم ويحلمون؟

- ٨ -

تُرى ، من أين يأتي اللصوصُ بكلِّ  
أولئك الضَّائعين والمنحرفين؟  
ماريا ، إن قلبك يضربُ بقوة ،  
اخفي صغارك في جوفِ الوسائد ،  
أو في ثقبِ دافئٍ من بيوت الطين ،  
ماريا ، لا تنسي أن توصي الزرائبَ  
كي لا تُدعر صغارُ الماشية .

- ٩ -

مالك صامتٌ أيها النهرُ ،  
ارفع عقيرتكَ في الغناء ليطرب صغاري  
وطاردُ عرباتِ اللصوص ليهدأ روعهم .

- ١٠ -

حينما يدفع المدُّ برمال الشاطئ  
إلى الخارج ،  
وهو يزفر مُعلنًا أنها الحركةُ المثلى ،  
يأتي الجزرُ كلاعبٍ آخرٍ فيجرُّها

براحتيه الجشعتين  
إلى حيث يهوى ،  
إنها اللعبة الأزلية للبحر المستوحش ،  
اللعبة التي تدهشك يا ماريّا

- ١١ -

ماريا ،  
منذ متى يحملُ وجهك كل تلك الغضون ،  
منذ متى يجدُّ الخريفُ في أتركِ ،  
وتجدُّ الكلابُ التي تعوي والذئابُ التي تنهش؟  
(... أتبكين؟ ..)  
(أرجوك لا تضربها .)  
ماريّا الخجولةُ كان اسمها منذ سنين  
مضت فاطمة(\*) ،  
مع الأيام صار شيئاً آخر ،  
ربما شام(\*) ،  
ماريا ، لماذا تخبئين اسمك الحقيقي؟  
إنّ فيه بحاراً وأقماراً ،

---

(\*) أم الشاعرة اسمها فاطمة ، وشام اسم ابنتها

إن فيه أفلاكاً لا تعرفُ الهدوء ،  
ترفرفين بغدائرِك الذهبية بين قطع  
من اللعب ذات الفراءِ وهي تهزُّ ذبولها  
الجميلة وتعوي عواءً مُسلياً  
من يستطيع أن يلجمها؟  
من يستطيع أن يلجمَ خيولك الزرقاءَ الشاردةَ بين الغيوم ،  
ويعيدها إلى زرائبها ،  
إنها تبحث عن أبوابٍ حقيقية لتنتقل  
خارجَ العالم .

- ١٢ -

الشتاءُ يتهاوى ،  
والرّخامُ يميلُ إلى العطب ،  
والنعامةُ التي تمشي في الليل على ساقين من القطن ،  
لتخيفك ،  
طواها الظلام ،  
علها تنسى عادةَ دفنِ الرأسِ .  
يا صغيرتي ،  
عينك زرقاوان كاللانهاية ، كالأبد .  
أيها الطائرُ الذهبي ،

لمن تتركين ظلالك في المرايا ،  
المرايا الموزعة في قبة الليل؟  
وتنظرُ ماريا إلى البعيد  
حيث يلهو خيالُ طفلة

- ١٣ -

عندما تنطلقين خارجَ ذراعيّ ،  
أخشى أن يفرَّ بك الزّمن ،  
أو يحني ظهرك الصّغير وأنتِ ترسمين  
خطوطه وتعرجاته ،  
فترتفعُ سحابةُ الروح ،  
ويعلقُ الجسدُ هناك بين تلك القضبِانِ  
الشّرسةِ والمتشابكةِ  
ماريا انهضي ،

إنها فرصتُك كي تصرخي  
«هكذا هي الحياة ،  
نارٌ في القلب ،  
نارٌ في القلب ،  
نارٌ في القلب .»

## الجبل الحزين

إنه وحشٌ المملِكة ،  
وحشٌ ضخَم ،  
لكنه لا يقوى على الحراك ،  
وحشٌ بليد ،  
ومع ذلك يتألم من لسع المطرِ والريحِ ،  
هزُّ ذيلِه قليلاً ، تعبيراً عن الألم ،  
أهاجَ حزنُه الأطفالَ ،  
فأسرعوا إلى أغطيتهم الزرقاء  
وخبأ كلُّ واحدٍ جزءاً صغيراً من ظهره الثلجِ ،  
ولكي لا تسرقَ الريحُ أغطيتهم  
ناموا تحتها ،  
ثم أحضروا مصابيحهم كي لا يخيفُهم الليل  
وعندما سرى الدفءُ في جسدهِ  
مشى ،



والأطفالُ لا يزالون يحلمون ملتصقين بظهره  
مشى . وظل يمشي بدافع الشوق والرغبة ،  
ليُشبعَ ذلك الحرمانَ القديم في قلبه ،  
فقد ظلَّ جائماً طوالَ عصورٍ دون أن يحرضه  
أحد على الانطلاق ،  
وها هو الآن طليقٌ يريدُ أن يُشبعَ تلك الرغبةَ المزمنة ،  
الرغبة التي أكلت صدره وتركته فارغاً  
إلا من العظام ، صعدَ وأسرعَ وتلوى ،  
غارساً قدميه في كل أرض ،  
مدفوعاً باللذة والدّهشة ،  
ورأى عجائب الدنيا ،  
لم يكن يدري أنّ في العالمِ بحاراً وأنهاراً ،  
بينما هو ظامئٌ . . . ظامئٌ ،  
لم يكن يدري أن العالمَ يتحرّك بتلك السرعة  
الجنونية ،  
بينما هو ساكنٌ طوالَ الوقت ،  
ومع صعوده وهبوطه استيقظَ الصغار ،  
ذُعروا ،  
لم يقوَ أحدٌ على إيقافه ،

إنه عنيدٌ وصلبٌ وشابٌ ،  
لكن صبياً شقياً صاح :  
«أغلقوا عينيهِ ،  
لقد أسكرهُ العالم» .  
ثم صنعوا له لجاماً ،  
وكان الليلُ عميقَ الظلام .  
أخذوا يُنشدون نشيداً حماسياً يُذكره  
بموطنه ،  
بالراحةِ التي كان ينعمُ بها ،  
وهكذا عاد .  
وعندما سجَدَ لينام ،  
أنَّ أنيناً قوياً كعواءِ الذئبِ الضارية ،  
قرَّر الصغار أن يتركوه وشأنه ،  
فعادت الرِّيحُ تلسعُ ظهره ،  
والمطرُ يخزهُ ،  
وعاد يهزُّ ذيله الصغير  
ويبكي الحلم الذي أفلت منه



# هذيان

---

## الزمن الآتي من قلبك

بعد أن لسَعَنِي الزمن ، لسَعَتَنِي الريح ،  
لسعت قلبي الممزقَ من الحب ،  
الحب الذي يمنحني عرشاً في الظل ،  
ظلك .

وفي الزمن الحار ،  
الزمن الآتي من قلبك ، كلُّ شيءٍ يحلو . . . ،  
التشرُّدُ والنوم على أسرةٍ مهترئة ،  
ملتفين كأغصان الشجر ،  
عارين ووحيدين ،  
ولا أمل لنا بالنجاة ،  
والقمر شاهدي ومحرضي .  
ما أغرب أن يناديني رجلٌ خفي ،  
يهمسُ من بعيد ،  
فيدوي صوته في أعماقي .

حصل ذلك في قلب تظاهرة الأصوات  
الغاضبة ،  
كنت تقودينها يا دوشارا(\*) ،  
«دوشارا المتنكرة في ثياب العاشقة ،  
تقودُ قطعاً من الذئاب الظمأى إلى  
الينابيع الملكيّة»

لقد انحسرت غيوم الضمير ،  
وكشفت الجراح ،  
فمهلك أيتها الأوردة العدوّة والشرايين  
الصديقة

\* \* \*

أمن الخوف في الحروب ودموع امرأة  
مهجورة ، يتكوّن ذلك النهر العظيم الذي  
يقال له الحياة؟

\* \* \*

عندما يُثقلُ الهمُّ قلبي وأسير في طرقات  
الوطن ،

---

(\*) دوشارا : أودوساس ، إله الشمس عند الأنباط

أشعر كأنتني أعبره من المجاري ،  
فزمني يتناسل هناك .  
ولكن ماذا حلّ بتلك الفأس الفضيّة  
التي تدفع بحاملها إلى القتل ؟  
أنتظرها تحت الضباب الرمادي الذي يقال  
له حبي .

\* \* \*

ها هي دوشارا تأتي لتطعم الأرواح الساقطة ؛  
هم يجهلون ،  
ولكن أنتِ والوطن تعلمان أن الهموم  
والانكسارات دقت مساميرها الأخيرة  
في الروح .

\* \* \*

اتجهتُ صوب الريح التي تشبه المنجل ،  
وتضرعتُ إليها ألا تقطع أوصالي ،  
ريثما أنقضُّ على الحياة من شاهق ،  
وأظل أغوص فيها حتى أعود إلى رحمها  
ولكن الريح سخرت مني ،  
أخذت تحطفتني شلواً تلو الآخر



فأجري وراءها عصوراً وأستعيده  
ثم جاءت ريح أخرى أخذتني بلا عناء  
لم تكن تحمل إلا ثوباً عتيقاً له وجهٌ  
وأطراف ،  
وفوق قمم الثلوج ،  
رفعت الريح راية الملك الغائب .

## هياج النار

كي لا أخونك يا كارما (\*) ،

كي لا أتوغّل أكثر وأكثر في الخيانة ،

سأضرم هذه النار ،

لأنك الألم الذي يفتك بي .

\*\*\*

أسمع أصوات هياج شعبي أت من بعيد ،

من مكان موغل في الهجير ،

تصرخ : «مزيداً . . . مزيداً من العذاب . . .»

وتطالب بشرعية العبودية

\*\*\*

«كارما ،

مالك صامته ،

---

(\*) كارما - تقابل القدر في الديانات الهندية - من كلماتها « من العيب أن تأمل من المضخة - اليدوية البسيطة أن تفرغ جهنم »

وقد علقت نيران الجحيم بثيابك؟  
«في جسدي مدن أجهلُ الدخول إليها ،  
وأجهل الخروج منها ،  
يستوطنها أقوام سرّيون ،  
ينصبون خيامهم الجبارة في أعماقي ،  
وفي الليل ، يتسلّقون سراييني ،  
يعبرون إسفنج الأحلام والرغبات ،  
يجتازون مجاري العصارات والأحماض إلى الخيام  
السرية ،  
حيث يقررون شكل المستقبل .  
وفي الصباح أستيقظ في الوحشة» .

\* \* \*

«كارما

دم الإندحارات يجري مسرعاً على صفحة التاريخ  
فافتحي قلبك ،  
لستِ حرّة مع رثيتك ،  
لستِ حرّة مع ذاكرتك ،  
القدر ذاته صار جندياً ،  
عندما يخطو على أسطحه مخابثنا ،

يصير المتمردُ هيكلاً من الخرق البالية» .  
هذه الخصومة المرهقة هي أنت أيتها الحياة .

\*\*\*

«كارما ،

أنت مسكونةٌ بالأرواح ،  
تأخذك روحٌ وتعيدك أخرى ،  
مسكونةٌ بالقمر والنجوم ،  
ولكنك لست مضاءةً بنارها ،  
مسكونةٌ بالوطن ،  
والشاحنات تنقله حفنةً إثر حفنة ،  
وتقذفه إلى الجحيم» .

\*\*\*

«أنا الهباء ، أنا اللاشيء ،  
ولكنني ملكةُ الأسمال والأزقة ،  
أنا الهباء ، أنا اللاشيء ،  
ولكن قلبي مُلتقى الطرق الخرافية ،  
أنا الهباء ، أنا اللاشيء ،  
ولكنني الأسلاكُ التي تأوي إليها  
-الطيورُ المذعورة-»

والأسلاكُ الناقلَةُ للدَّسائس الملكية ، الراكضة عبر المتاهات ،  
أنا الظلام ،  
وعندما يعبرُني اللصوص والقنلة ومزيفو النقود ،  
تكشفهم أحلامي»

\* \* \*

يا أحواض القار يا قلبي ،  
أيها المنفي في الجحور والأنفاق ،  
من يعلم كيف تشق الطيور المذعورة طريقها  
وسط الرصاص؟  
أقوام يخرجون من الجسد الفاني ،  
والنقمة تزمجر في عيونهم .  
أولئك المتمردون هم شهود شقائي ،  
بعد أن ضاع صوتي في صحراء الحرية ،  
أقوامٌ لا حصر لها تعسكر على أبواب الرّوح ،  
تقرر حصتي اليومية من الحياة ،  
وهي تطعم كلابها الضارية  
«كارما ،  
صوتك المتأوه ذبحني ،  
العالمُ الذي حُجِبَ عنك ،



## الحظيرة

كلما خيّل لي أنني اقتربت من أبواب الفجر ،  
طارت الأبواب إلى أماكن مجهولة ، وتابع الليل غزوه .  
اشهدوا أنني أسيرة ذلك الليل

\* \* \*

أفتح أعماقي للحريّة ، فيدخلها الإرهاب ، رافعاً رماحه المعادية ،  
يدخل الرثة والشرابين غازياً ،  
يقرّر حركة الحياة ، فارضاً شروطه ، مسلطاً رقابته ، قاذفاً خلايا  
العمر بالمعونات الفاسدة ؛

ويأخذ القلب ما يُلقى له من الخبز والطحين  
والعدل ، دون أن يجرؤ على المناقشة ، فالرعباء كثر ،  
والشعالب شرسة .

الدّم يتشرد أمام عتبات الإعانات ،  
ملطّخاً بالذّل ، أحلام واهية تطارد أثر الأمل

\* \* \*

أفتح نوافذي للحب ، فيدخلها حشد من العشاق والراغبين في  
الجسد ، حاملين معهم الجشع والعبودية ، تطأ نعالهم العمر ، وهم في  
توغلهم العنيد صوب القلب الغائب .

وكالأسلاك الشائكة ، يشقون طريقهم في الشرايين ،

كأعداء وجواسيس ، كجموع لا هم لها

إلا أن تقذف منصة الأحلام بنار الجحيم ،

لكن أيها العشاق الفاتكون ، إنها المنصة الوحيدة الباقية

للحب والوطن والأطفال .





## مستقبل من الرمال



## خريف الحربة

بيروت ،  
حلمتُ يغزوكِ ،  
فاستيقظتُ على أصوات الدّمار ،  
وهاجرتِ القطعانُ تحت السّياط المجهولة ،  
تتلوّى وترتعش فوق مرتفعات الشّرق ومنيحدراته  
بعد أن سقط عنها الحاضر والماضي والمستقبل  
تاركاً نساءها ورجالها في عري حقيقي .

\*\*\*

أيها الحب  
ما الذي أيقظك ، والفجرُ فجر المذابح ، من الذي أضرمك أيتها  
النار الأبدية في  
صدري الشريد؟  
كلما أكون ، تكون أنت .

كلما أياأس تحرضني على الحياة ، وتنقذ روحي

من طوفان الظلام

\*\*\*

كنّا سعداء ،

ونحن نقضي طفولتنا في بيوت الرحم ، بيوت الطين

والبلان

سعداء ،

نحلم بالحب والانتصارات ، وبكل غامض . مدهش

حتى جاءت الريح المتوحشة وأشعلت الساحات ، بهدير

القطارات الراحلة والجنائز المقبلة ، بعويل القطعان وهي

تنحدر من تحت العروش صوب العبودية

\*\*\*

إيه أميون ،

ألا تزالين مختبئة كالقمر على أسطحه الباطون المسلح ،

حيث كنا نقضي سهرات الجنوح

الأولى ، خائفين متلاصقين ، والرياح تغط

في نومها العميق كالرّخم؟

أميون ،

كفاك تشبثاً بالأرض

فالعالم يهجر محطات أسفارك ،

يهجر الأماكن التي كنا نهتف منها للحرية ،  
كفكك تشبثاً بغيوم الأحلام ،  
فالنجوم تقذفك بنيرانها ،  
أميون ، ما أسهل اقتلاعك .  
ومع كل زفير تمضي الحياة خارج قبضة الحب .

\* \* \*

وافترقنا  
هجرنا منابر الثورات ،  
لا الحنين يهزنا ، ولا الطموح يردعنا ،  
واتجهنا صوب حقولك أيها الحب ،  
جئناك كالمهاجرين ، نحمل خرائطنا وقلوبنا الموسومة ،  
بالشقاء ،  
جئناك لننجو من عواصف التاريخ ،  
لننجو من أعمارنا الشقية .

\* \* \*

أن أحلم بك هو أن أكسب الجرأة على الحياة ،  
وتمتلئ رثاي بهواء التحدي ،  
من يصدق أن روحي الشاردة قادرة على أن تعبر تلك المسافات  
من الظلمة والشك

والمغامرة ، لتصل إليك ،  
من يصدّق أنها قادرة أن تثقب الأبدية  
وتصنع للقبور نوافذَ للحرية ،  
الحرية الممتلئة بك ،  
وفي عملية إسراء مدهشة ،  
في فضاء يعج بالمخاطر ،  
يخرج خيط الروح الهارب ، هائماً مع  
حلمه الصعب ، لينسج حباً أبيض عصياً  
كالغيوم

\* \* \*

ها هو الليل يعود ،  
الليل المرّ ينتظر مواطنيه الفارين ،  
ليل الاختناق والأيام الماضية ،  
والليلُ زمني الخاص ،  
وزمنكَ المطر والرعد والعواصف ،  
فكيف أسير في الأزمنة الغريبة وقد أدمنت  
روحي طعمَ الظلام؟  
أيُّ موج سيهدر حين أخبرك قصص  
الجبال المتورمة والكلاب المسعورة والجمال

الهائجة؟

لأنهم جميعهم الطرف الرابع ، خسرت ،  
أنا الخاسرة الأبدية

\*\*\*

تحت ضوء القمر أحببتك ،  
وتحت ضوء القمر أحببت الله وأميّ وخرير  
الماء ، الماء الحقيقي ،  
لكن روحي المشققة كأرض الزلازل لا  
يرويها شيء ،  
أعرف أن الحب يأتينا عنوة دون أن نهيئ  
له ، وأن المشدوهين والحزانى واليائسين  
واللامبالين جميعهم يقعون فرائس  
للحب ،  
كالآخرين ،  
حتى الأسرى ،  
الأسرى المساقون للموت ،  
الأسرى الذين انحدروا من جبال طوروس  
كانوا أيضاً يحلمون بالحب ،  
لكنهم ذبحوا وأهملوا على السفوح .

\*\*\*



إيه أيها الحبّ ،  
كلما جاء عصر صار لك لونه ،  
وفي عصر الانفجارات العميقة ، صار لك طعم  
الانفجارات العميقة  
في عصر الدّماء والجثث المجهولة ، صار لك طعمُ الدّماء  
والجثث المجهولة ،  
مع هذه الويلات ينام حبي في حفر الذاكرة ،  
مع هذه الويلات ينتشرُ البنفسج الرائع فوق  
الخرائطِ الأنثوية ، ثم لا يلبث أن  
يعبرها باعثاً بجذوره الحيّة إلى الأرض الخراب .

## الفجر

لينشدِ الشهداءُ نشيدَ العدالة ،  
ليست الرِّيحُ أعنفُ ولا أشدُّ .  
في نشيدهم تكمنُ أسرارُ الحرِّيةِ  
وعلى نفيرهم يستيقظ الفجر .

\* \* \*

يغيبون في لجة الموت ،  
يتوهَّجون ،  
يضيئون ،  
ثم يأتي آخرون ويغيبون ،  
ينصهرون في سبيكة الإله ،  
وتتنفَّس تلك العجوزُ الذليلة ،  
وتبكي ،  
فأبناؤها لا يزالون يتذكَّرون ،

يحملون أعلامها الحائلة في مطافهم الكبير

خارج الليل ، حيث نيرانُ القلوب تبهرُ  
الأبصار ، فهناك يقيمُ جندُ الحقيقة

\*\*\*

أيتها الدماءُ العظيمة ،  
هُوَ ذا علمُ الحرية يستحمُّ بك ،  
تُزيلين عنه بشاعةَ الطغيان ،  
تعيدين له عظمته ، ذلك القماش الملطَّخ المهترئ  
فما أبهظ الثمن!

\*\*\*

أيها الأبطال ، هنا دماؤكم ،  
هنا في القلب ،  
لقد تساقطتْ كالشَّهب ، فأهاجت حبي ،  
فأيُّ جسد لا يتطهَّرُ بتلك الدماء .

\*\*\*

هَبِّي يا رياحَ المتوسط ،  
واضربي بأجنحتك الزرقاء جميعَ الشواطئ ،  
أيقظي البشرية ،  
لقد نبت الأبقوانُ على تلك الخرائطِ الواسعة  
من الرمالِ والخرائب .

فلينشد الشهداءُ نشيدَ العدالة ،  
لينشدوا الأسرار ،  
ليستِ الرِّيحُ أعنفَ ولا أشد .

## العاصفة تأخذ القلب

عمّ تبحثُ تلك الشمسُ الكئيبة في دورانِها  
اللامُجدي؟ ولماذا يتفككُ جسدها  
الأرجواني فتساقطُ أقراصٌ لا نهائيةٌ  
من صلبِها الملتهب ، تتبعُها طيورٌ سوداء  
سوداء .. تعبرُ كالعاصفة  
نكاد لا نلمح إلا عيونها المتوهجةَ بالدموع ،  
تخرجُ من قبورِ الأجدادِ وتنطلقُ صوب  
الأردن

\* \* \*

صوت : «نهرٌ ينبع من الذاكرة ،  
من أعماق التاريخ ،  
نهرٌ استحمّت به ملايينُ الأزهارِ البريئة  
هاتِ مركبي الورقي ،  
هاته ،

لأبحر على أمواجه صوب النار»  
وارتمى في خضمّ النهر محتتماً بأحلامه ،  
أجنحته ریح بيضاء تزهو فوق الأردن .  
صوت : «أتكون هذه العظام المفككة . . . أمي .  
وتلك الجمجمة الخيفة أبي؟» .  
صوت : «ليس لثورتي بيارق ولا مُعجبون» .  
بدايتها جحيم . . . نهايتها جحيم . . .  
وفردوسها الوحيد روعي» .  
أصوات : «عمّقي وجودك يا هموم ،  
وليُضئ وجه المغني .  
أغمضي عينيك يا صحرائي ،  
كي لا تأخذ العاصفة قلبك ،  
عومي فوق طوفان الافتراء والتجني ،  
واهمسي في أعماق أعماقك : «سأصيرُ  
طيراً وأنجو» ، وسرعان ما تحيّئك  
السماء .» .

أصوات أخرى : «كُنّا خليطاً من الدموع والدماء ،  
حين هبطت الملائكة ملتاعة ،  
أفَعَت كَالغَرَبَانِ عَلَى الْأَغْصَانِ ،

أخذت تقلبنا بعصيها الطويلة ،  
بطناً لظهر ،  
لتقرر أتبصق علينا أم تنوح»  
فتيانٌ صغاراً أولئك الأبطال ، ولن يعرفوا طعمَ الكهولة  
وجوههم حزينة ،  
يحملون أعلامهم بشغف ، كأنها الوجودُ كُلُّه . فتیانٌ  
صغاراً أولئك الذي يعمِّقون  
مجرى الحرية  
شرياناً من النَّارِ بيني وبينكم أيها الأحياء  
المغامرون ،  
شرياناً من الفَجْرِ يجذبني نحوكم خارجَ مياه المحيط .

## طوروس القلعة





## مخصّصات النسرالميت

إنه سكونُ الشُّعُوبِ المُصَابَةِ ،  
وَأَلْمُ الثُّوَارِ وَهَمُّ يَلْتَقِطُونَ الصَّدَقَةَ وَيَفْرُونَ ،  
وَحِينَ يُزَجُّونَ فِي الْأَقْبِيَةِ ، تُظَلِّمُ رُوحَهُمْ ،  
فَتَنْتَشِرُ عَصُورٌ صَفْرَاءُ ،  
دُمُّهَا الْحَائِلُ يُشْبِهُ دَمَ الْحَشْرَاتِ ،  
وَالثُّورَةُ فِي الْحَارِجِ تَثْبُ وَتَثْبُ ،  
تَحَاوِلُ أَنْ تَسْتَرِدَّ كَائِنَاتَهَا ،  
فَتَتَشَابِكُ الشَّرَايِينَ بِالْأُورِدَةِ ،  
وَيَخْتَلِطُ الدَّمُ الصَاعِدُ بِالتَّازِلِ ،  
دَمُ الثُّورَةِ مَعَ دَمِ الْعَبُودِيَّةِ ،  
وَيَتَوَغَّلُ كُلُّ شَيْءٍ بَعِيداً لِيَدْنُسَ الْقَلْبَ ،  
بَيْنَمَا يَبْحَثُ أَصْحَابُ الْبِرِّزَاتِ الرَّسْمِيَّةِ عَنْ  
أَمْرَأَةٍ كَيْ يَنْالُوهَا خَفِيَةً فِي مَسْتَوْدَعَاتِهِمْ ،  
أَوْ يَدْفِنُوهَا فِي قُبُورِهِمْ ،

لندفئهم في ليالي الموتِ الباردة

\*\*\*

لولا تلك الكتلةُ المترهلةُ من السنين ، الرابضةُ  
على كتفيه ،

الكتلةُ التي تُعيقهُ عن اللحاق بأحلامه البعيدة  
والمتوهجة ، ثم تلك الجثثُ التي تغفو وتستيقظُ  
فوق خرائطِ الوطن ،

تُحيلُ العمرَ إلى سنين قائظةٍ وكاويةٍ كالجمر ،  
كأنه الهدير والصحراءُ تسعى وراءه بنايين من السمّ ؛  
أنقذوه فتولدَ الثورة .

\*\*\*

ثمّة زرناناتٌ صغيرةٌ تتجولُ في دمه وأحشائه  
المُشتعلة

تحتشدُ في حلقة حتى لتوشك أن تخنقه ،  
كان عليه أن يبقى صامداً أمام تلك العواصفِ  
الخيالية ،

يضربُ العبوديةُ بيديه الباليتين ، فتنفتح  
جراحه ، وتنشقُّ كالقمِ الظامئ ،  
هل يُطبقُ أنيابه عليها ويبصقُ ؟

أم يُطبقُ تلكَ الأسنانَ المهترئةَ الصفراءَ ،  
الأسنانُ المرفوعةُ بالمعدنِ والجِيسِ  
وأشياءَ أخرى .

يضربُ الوهمَ بجناحيه الكسيرين ، فتستيقظُ  
حشراتٌ لا حصرَ لها ،  
تتقدمُ . . . فيتراجع ،  
تتضخمُ . . . فيتضاءل ،

ويدفعهُ انتصارها إلى الوقوعِ في هلوسة .  
تامةٌ من البحثِ والتفتيشِ عن مفرٍّ ، من الاسترحامِ  
وطلبِ الغرغان .

وأخذتْ همومهُ تنتفخُ ،  
ذهل من حجمها الذي صارت إليه ،  
فالطغاةُ والجلادون يجرون وراءه ،  
وهو يجري هارباً بخفةِ الريحِ ،  
مستجيراً متألماً ،

«هيا أنقذيني أيتها الثورة»

ارتفعت العاصفةُ الرّصينةُ بما فيها

من طغاةٍ وأقبيّةٍ وجلاديين ،

وطارت ،  
يحملُها جناحها العظيمان ،  
ويتدلَّى بردى من منقارها الصلب ،  
لقد جاءَ فصلُ التَّقْلِبَاتِ ،  
فصل الأزهار المتوحِّشة ،  
وأطلقَ الطاغيةُ كلابَ شكِّه وغضبه ،  
أطلقَ جبلَ أحشائه في جوفِ الأرضِ ،  
فصارت سراديب لا حصر لها

هيا اسكنوها أيُّها الثَّوَارُ ،  
أيُّها المشرَّدون ،  
لقد ترهَّلت الثَّوْرَة ،  
وتراكم عليها شحمُ القصور ،  
وجرى في عروقها دمُ الطُّغَاةِ .  
وعندما تدفَّقت نقودُ الزمنِ  
قذفوها جُرُافاً ،  
فاغتازت النُّسورُ ،

النَّسْرُ القابعُ بلا حِرَاكِ على صغارِ النَّقُودِ

ينتظرُ الفرصةَ كي يفرَّ إلى الأبد ،  
ويترك الثَّورَةَ للنسرِ الفضي ،  
الثَّورَةَ التي يجرجرها الطغاةُ على الأرض ،

يرصدونَ مخصصاتها للتَّجاراتِ العُليا  
والتزييفِ والتقسيمِ الخاطئِ والمِنحِ البُلهاءِ ،

«لقد صرنا جنباءً ومُتلعثمين ،  
والمدينِ الفضيَّةُ تُلَمِّعُ عضلاتها المدمِّرة ،  
تحشو بها صدوعَ القلبِ المنهارِ» .  
خذ نقودك واعبرُ أيُّها الزمن .

ها هي امرأةُ الطَّاغيةِ تنحني تحت عصا القلقِ والتوجُّسِ ،  
لتسمعَ موسيقى الثَّوارِ من شقوقِ  
المخابئِ والسُّجونِ ،  
فتذعر ،  
تُسرِعُ وتشربُ الزَّمنَ ، نبيذها الوحيد .

التاريخُ ذاته ملوِّثٌ بدمِ الزَّهرةِ والسَّحابةِ ،

بدم نيسانَ الغامض ،  
نسيانُ المحتبئِ في أعمارنا ،  
لم يبقَ أمامه إلا الجسورُ المتداعيةُ والأنهارُ  
المتوحّشة ،

وعندما أبحرتِ الطفلةُ الشَّقاءَ ذاتُ  
العينين الزرقاوين ، مع كلابها القطنية ،  
لتبحث عن مخابئِ الثَّورة ، عن أعلامها  
الحقيقية ،

أسرَّتْها مقدونيةُ الشهيرةُ برجالها  
الأشداءِ ، وولائمها الحربية

## جرذانُ التاريخِ

من قلبِ السَّقُوطِ تخرُجُ الدَّمُوعُ المرَّةُ ،  
يخرُجُ العويلُ وأصواتُ الاحتجاجِ ،  
ويقبَعُ التَّاريخُ القذِرُ على قارعةِ الطريقِ ،  
يترصدُّ المسحوقينِ ،

يصطادهم كالجرذانِ وهم يتوغَّلون تحت  
سماءِ من التَّنكِ واليافِطاتِ المُمزَّقةِ  
والشُّرفاتِ المنهارةِ

ثمَّ يأتي فقراءُ آخرونِ ،  
عبثاً يصعدون سلالِمَ متعرِّجةً وسوداءِ ،  
يتبعهم منبوذون حاقدونِ ،

لا يلبثون أن يهبطوا

ثم يصعدونها ويهبطون ،

وعندما يسمعون حشرجة الملوِكِ يُذعرون

ويفرُّون ،



تاركين نيران الثَّورَة تنطفئ ، كاشفةً عن  
رتبٍ مزيفةٍ وقُبَّعاتٍ مسروقة

هل كانت الثَّورَة تغويهم  
وهي متبرِّجةٌ وغارقةٌ بالمساحيق ،  
لا اسم لها ،  
تحوم حولها الظُّنون ،  
تقودها شرطةُ الحُكَّام إلى مخافر التهذيب؟  
أم هل أفسى سرَّها مؤمنون مُزَيِّفون ،  
ليُفسدوا مجرى الريح الودودة؟

أيُّها الثُّورُ القادمون من الأعماق  
المطعونة ، من القلوب المنبوذة والحناجر الموصدة ،  
لم لا تطلقون هديركم  
وتغيبون في النيران العليا؟  
اضربوا خيامكم المهلهلة على المنصَّات  
والعروش الجميلة ،  
وتوغَّلوا بعيداً في القُصور والمعابد ،  
حيث يتنفسُ الزَّمنُ زفير الحُرَّاس

والجواري  
ويتذوقُ ذلَّهم ،  
فينتشي ،  
وتنشر جرائمُ الإرهاب ،  
فتأتي طوروسُ الوحيدةُ ،  
طوروس الزرقاءُ والمتعالية ،  
وتشتعلُ الدهشة .  
ثم تتوافدُ بغال الذَّخيرة سرّاً إلى  
الشُّعاب القائِظة ،  
ويتسلَّلُ حراسُ شرسون إلى  
المستحيل ،  
فيصنعون من القصور  
قِفاراً ، ومن العروش أدغالاً

\* \* \*

من الفاشلين في التُّجارة والفارين من السُّجون  
تنمو جذورُ النور ، تنمو الثوراتُ العظيمة :  
عضلاتُ أفكارها وفولادُ دموعها ،  
تنمو الرِّيح العميقة ،

الرِّيحُ التي تقودُ الثَّوارَ إلى عصرهم ،

إلى معاركهم الحقيقيَّة ،  
حيث يحلم جندها وينتظرون ،  
والطرُّ يعزفُ نشيدَ الحياة .

## وداعاً يا زنوبيا

وأخيراً جاءت الظلمة التي جعلت زنوبيا  
منسية ،

بينما نهر الجياد يصلُّ بفرح  
ولا يدري أنه متَّجهٌ نحو الكمين ،  
والأوقيانوسات تهدرُ بنظامٍ لا علاقة  
له البتَّةُ بالأم قلبي ،  
الآلام التي حفرتُها أنتِ .

\*\*\*

سأظلُّ أغيب في التاريخ محاذرةً ألا  
تطأني خيوله الغازية ،  
علني أصلُّ إليك ،  
أنا المواطنة الهَيُولى وأنت الغبار .

أيها الوطن الصَّدئُ ، أنا قمرُك النهشُ ،

فاهرب كالورق الميت ،  
أيها الوطن المتآكلُ ، أنا الجسورُ التي بُنيتُ من عظامِ  
أطفالك ،

فاعبرُ ،

والحقُّ بالرومان وهم يقتفون أثرَ زنوبيا

\*\*\*

في فيءِ الأشجار الدهريّة بنيتُ حلمي  
في فيءِ العُصورِ الغابرةِ ، ولَدْتُكَ من القَشِّ  
فارعةً وسمراءَ ، وأدخَلْتُكَ غِرْفَ المستقبلِ ،  
لكن سرعانَ ما هَجَمَتْ قطعانُ عابِثةِ ،  
قطعانُ من النِّعاجِ المذعورةِ ،  
يطاردُها كبشُ النِّزواتِ ،  
وطرتِ ،

وتناثرت حجارةُ البيتِ في الفراغِ ،  
فراغِ السِّحرِ ،

السِّحرِ الَّذِي يحوِّلُ الأميرَ إلى تُعبانِ  
والتُّعبانِ إلى أميرِ ،

«وكالأمراءِ عاشَ معي العاشقُ حتى لدغني»

\*\*\*

زنوبيا بلا مأوى ، مثلجة الأطراف ،  
وشريدة مثلي : والريح تعصف في الخارج  
والجياذُ تعيثُ فساداً في الجوار ،  
مقرورةً ببرد الخوف ، بينما نيرانها تدفئُ الغُزاة ،  
مقرورة ببردِ غامضٍ بينما نار التوقُّعِ وجحيم  
الخيبة يلتهم كلَّ شيء ،  
جياذُها تصهل وكلاؤها تعوي ،  
وبصمتِ بَنَيْتُ لكَ قصرًا منيعاً فوق  
الصُّخور ، ومملكةً من الطحالب المخملية .

كانت عاصمتك فراشةً من الجليد ،  
بيوتها صغيرةً ومتشابهة ،  
تسير سيراً رتيباً في سفرها الشاقِّ والمضني  
وانعكست أضواءُ السَّقائين الليليين على  
قصرِكَ الخرافيِّ حتى امتلأً بالتَّجومِ ،  
لكنَّ عاصفةً في الليل قذفتك خارجَ العرشِ ،  
وفي الصباح كانتِ المذابح .

\*\*\*

ذلك الشتاءُ الجارحُ ، فصلُكَ ،

والريحُ التي تقذفُ بالمتشرِّدين والمنهزمين  
كالغرباءِ إلى الصَّحراءِ ، تلكَ الريحُ لم تعدُ ريحَكِ ،  
يا من كنتِ تمكثين كالإمامة خلفَ الانتصاراتِ .

حتى الفقراءُ والمنبوذون نكصوا بوعودهم ،  
وغدروا بك ، وما لبثوا أن بكوا من ظلم  
الظروف التي أدخلتْهم في سجلِّ العواصفِ  
الخائبة

بينما شاخت جموعُ أخرى

تبعثرت

صارت حفنةً من الترابِ وهي تنتظرُ حلمها  
الرائع

أنتِ ،

الحلمُ الذي انتهى في شوارعِ روما ،  
حيث كنتِ تُنقلين كالذبيحة خارجَ مسلخِ  
العدالة ،

وهم ينهضون فوق هضابِ جسدكِ المرِّ ،  
ما الذي تستطيعين أن تريه في فضاءِ روما

من الزُّرْقَةِ والملوحة ،  
وصدرُك ممتلئٌ بالرافضين والثَّائرين وهم  
ينزلقون على الخيطِ الرِّصاصيِّ إلى حيث  
تكمنُ الخسارة .

\* \* \*

من يصعدُ القصيرِ يصيرُ ملكاً ،  
ومن ورائه ينحدرُ الزمن والتاريخ ،  
من أين لك الغناءُ خارجَ الزمنِ ، والزمنُ  
عالقٌ بأحشائك ،  
مرحباً أيُّها الزمن الوغد ،  
مرحباً أيُّتها النجوم ،  
ماذا كنت تفعلين في الأعلى؟  
يا لكِ من ذئبة ،  
كيف لا تحمين تلك الجراح  
وذلك القلب؟  
المطر ذاته ينحني ويقاقل

\* \* \*

سهرت على شاطئ التاريخ ، علني أعود  
إلى زنوبيا ، فهجم جيش من المحطيات والغانيات



والسّفّاحين ،  
ذُعرتُ ، وأغلقتُ أبوابي ،  
زنوبيا ،  
لقد أدارت الصحراءُ ظهرها السامّ ،  
وانتهى الأمرُ ببساطة ،  
الدموعُ عَكِرَةٌ ، وليس من نظرةٍ حبّ صافية ،  
زنوبيا ،  
العالمُ مضاءٌ بنارِ الكلاب .

## الوحش في الروح

لم يكن هناك شهود ،  
كلها في المخيلة :  
وحشٌ متفوقٌ ،  
ظهر فجأةً في أحراجِ الروح ،  
في أوطان الغانية وتحت مصابيحها الساهرة ،  
قذف القصاصد في الريح ، وجليد الأطفال على العتبات  
ثم اعتلى منصّات الوطن وأخذ يغني كالأبرياء .  
ها هو القلبُ ينفجر ،  
والوحش يتمادي في أحضان الوطن ،  
والوطنُ مكسورٌ ومطويٌ تحت الأجنحة العاتية ،  
وطني أسيرٌ خلفَ كمامات الإرهاب ،  
عكّرٌ كنهه تخوضه الجياد ،  
وطني يُعوّزه الماء والجنون ، تعوزه الضغينةُ

كي يصير ذنباً ضارياً على الانكسارات .

\* \* \*

أخافتني ظلمة الهجرِ وبرودته ،  
والحياة المتسخة داخل البيوت المكتظة  
العليلة ، والحمامات ، بلا ستائر أو  
مواقد ،

والجلادُ يدخلُ ويخرجُ كزوجٍ وديع

الفجرُ العليلُ يركضُ على ضلفاتِ التوافد ،  
لم يكنُ أكثرَ رقةً من أماكنِ التعذيب ،  
فجرٌ مليءٌ بالجرى والقذف والتدافع والغبار ،  
أنامٌ في رحابه فتموتُ نقاوتي

لقد تداخلتِ السنونُ وانهمتِ الطُفولة ،  
طبقةٌ كثيفةٌ من الحبِّ مقدوفةٌ على بلاطِ المباحي ،  
حيثُ الأفخاذُ العارية ،  
خدمٌ وبغايا ،  
سافراتٌ ومتسترات ،  
والعيونُ المائلة تشنَّجت من الرغبة

كيف أتحدثُ عنها وأنا لا أجرؤُ على النظر إليها ،  
ولكن كم غمرتها بالقبلات يا قلبي العليل ،  
حملتُ عنها آلاماً قاسية ،  
أعطيْتُها روعي فوجدتها مبصوقةً في الجحيم .

\* \* \*

هناك في الغرفِ الواطئة والمنسية ،  
حيث تبدو جذورُ العالمِ سوداء ،  
حيث ملاءاتُ المسارحِ العتيقة ،  
الملاءاتُ الحمرةُ الممزقةُ شهدتُ جنونَ  
الحب وتشهدُ الآن أنهياره .

\* \* \*

أمي ، أيتها القديسة ، ارحميني  
منذ أجيالٍ وأنتِ تنامين في أعماقنا ،  
تحلمين بالمعجزات ،  
ومع كلِّ مساءٍ ، أسمعُ حشرَجَتِكَ الدنيوية ،  
تختلطُ مع خطواتِ القدرِ المترهِّلِ وهو يتهادى في  
الخارج ،  
وينتظرُك بعقاله المرقط .

\* \* \*

تختبئين في قبورِ الأولياء لتطيلي فرارنا ،  
تتكاثرين فنخرجُ من جسدك نساءً ميّتات ،  
تطاردين سرباً من الملائكة كاشفةً عن  
جراحك العميقة ، فيلاحقك بائعو  
البخور بدخانهم العقيم

\* \* \*

أراك هابطةً سلالمِ الرّوح ، وأنت  
بلا حراك ، تموتين ثم تُبعثين فينا نساءً فانيات .  
فلأتهاو كشرع لا أمل له بالإقلاع  
ويبقى الوحشُ في روعي يرفس ويضرب خبطاً  
عشواء والمضخّةُ الصّدئةُ تستغيثُ :  
« ما لهذا الدّم يسيل ؟ »  
ونحن على الأسرّة والأرائك وفي الأرحام ،  
لم يعدُ السيّدُ سيّداً ،  
ولا الحبُّ حبّاً

ولاحت لي الحياةُ الساقطةُ المتدنيةُ من بعيد ،  
مسرعةً ، مسرعةً ،  
كلُّ شيءٍ يدور فيها ،  
من قذف بها إلى قلبِ تلك الغابةِ الهادئة؟

الأطفالُ يصرخون ويرتجفون ،  
كأن ريحاً عاتية صفعتهم ،  
رياحُ كانون تدفعُها رياحُ الغانية

\*\*\*

هُزّني أيُّها الغضب ،  
أنا شجرةُ الدهشةِ وهذا خريفِي ،  
الحبُّ والشُّعْرُ يدعوانها لكي تكون غباراً

## خطوات الليل

هياً إلى الظلام ، لنكشف قلوبنا ،  
ضعي رأسك الصّغير فوق ذراعي الترابيّة  
ولا تتواري خلف الظهر ،  
سيعرفُ الخريف كيف يضع طعمه المرّ في فمك

ها هي عربةُ الليل تتقدّم بقوائمها الرفيعة ،  
صوب قلبكِ ،  
تعيد لكِ ألامك العريقة ،  
تتشبّثين بأذرعهم ،  
يدفعونك إلى أعماقها ، ويمضون ،  
وهم لا يملكون الخيار ،  
ها هو ليلك يتفتح وينمو ،  
لا تديرِي رأسك في الأنحاء الصعبة ،  
باحثةً عن مفر ،

لن تري أحداً إلا الظلام ،  
ولن يهبطَ سربٌ من النجوم الصغيرة ليحرسك ،  
لا شيء يمكن فعله أمام تيارات الفناء ،  
فليله يتبعك أينما سرت ،  
نيرانه تلتهمك ولا صوت لخطواته ،

أمن أجل هذا الظلام جئتِ؟  
أمن أجل هذه الآلام وُلدتِ؟  
سيمتصُّك الليل شيئاً . . . فشيئاً ،  
وعندما يتألفُ جسدك مع التراب ،  
نستطيع أن نتحاور دون أن يلتفت أحدنا إلى الآخر .

أستطيع أن أسمع حتى كلامك الخبأ في القلب ،  
يا أمي ،  
أيتها الغيمة ذاتُ العطر الجميل ،  
مالك مسرعة ومترنحة  
أيتها الملكة المعفّرة بالتراب ،  
الليل يمزجك بفضائه الغامض ،  
ويمنحك عرشته



## ورقة خريف

لا تأخذيني أيتها الريح ،  
أبعدي أذرعك القاسية عني ،  
ما أنا إلا ورقة صفراء ، هشة ،  
سقطت البارحة عن هذه الشجرة ،  
وها أنا أدورُ حولها وأدور ،  
أستظلُّ بها ،  
وأحلم بالرجوع إليها

## حرب الذاكرة

نادني أيها المجهول بكل أصواتك المدهشة ،  
امنحني سفنك المنقذة ،  
فقلبي بحرُّها الصغير ،  
الهائم بحبك .

\* \* \*

لو كان لي أحياء لناديتهم بصوتك ،  
لو كان لي وطنٌ لجعلتكَ علماً له ،  
لكنني غريبةً وعزلاً كالراهبة ،  
فهيا إليّ حاملاً نيرانك الرائعة ،  
واشفِ جسدي من الطعنات .

نادني ليتفاءلَ ترابي ، ويأس رملي

لك الغلبةُ الأخيرةُ في حربي

اتبعني ، اتبعني

واحرسيني أيتها القمم ،

كوني جيشي في الهزائم ،

وغريمي في الاحتفالات .

أيها الغيب ،

أنت رياح قلقي وذهولي

## الأرق

من حافة الشرفات ألمسُ العالم السريع ،  
العالم الذي يخطفك ويمضي مخلقاً زمن الفراق المرّ .

ومع الليل ، يأتي زمن جميل ، وديع ،  
ليل يوقظ الليل فيّ ،  
ليل يحمل ألف ليل ،  
إنه أنت ،

الحب والحلم ،  
الحلم وحده يبرئني ، حيث يصير الفضاء لا متناهاً  
ونقياً ، حيث يصير الحب رقيقاً كالورد ،  
فتصير أكثر حضوراً وتألّقاً ، وتفتح نفسي الغامضة  
في الحلم أصيرُ عالية كالطير ، بيضاء كالغيوم ،  
سعيدة كالأطفال ،

الحلم الرائع هو أنت ،  
الصورة الخفية التي تسعدني ثم لا تلبث أن تؤرقني ،  
النشيد الخفي الذي يحرضني

أحبُّ غربتي فيك ، أنا وردة الطين المنتهية ،  
أنا الذاكرة التي تلسع وتختفي

من عالم الأسرار ، من عالم الإدراك الخاطف  
لانفعالات رائعة ،  
أرى كل شيء ،  
أرى العالم كله ، وشيئاً أغرب من العالم :  
توازن لا واع لحياتنا البائسة ،  
مع انحساره نثن كالأموات في سجوننا

## العبيد

جَرَفْنَا نَهْرُ الطَّمُوحِ خَارِجَ أَفْرَاحِنَا وَمَسْرَاتِنَا  
الصَّغِيرَةَ ،

وَمَعَ مَوْجِهِ الْفَائِضِ وَعَيْرِ الْمَتَوَقَّعِ ،

بَدَأْنَا نَبْحَرُ وَنَغْنِي بِمَعْنَوِيَّاتٍ عَالِيَةٍ

نَتَصَبَّبُ عِرْقًا وَمَجْدَفٌ ،

وَنَحْنُ نَزْدَادُ إِصْرَارًا

كَانَ النَّهْرُ يَثِبُ وَيَنْتَفِضُ ، وَالْمَفَاجَاتُ تَتْرَاكِضُ ،

وَالزَّمَنُ الْأَسْوَدُ يَلِدُ الْأَيَّامَ وَالسَّنِينَ ،

يَلِدُ الْحُرُوبَ وَالْكَلَابَ وَالْمَوَاحِيرَ ،

وَعِنْدَمَا غَاصَتْ سَفِينَا الْفَاشِلَةَ فِي وَحْلِ

الْقَاعِ ، رَحْنَا نَجْرُهَا كَالْعَبِيدِ ،

وَتَحْتَ جِسْرِ الْحُرُوبِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْهَزَائِمِ الرُّوحِيَّةِ ،

خَبِرْنَا كُلَّ شَيْءٍ ،

وإذا ما نُزعت تلك القشرة ،  
بانَت المرأةُ - الحُطامُ ،  
بان العالم - الهشيم  
أهو الزمن يعبث بنا؟  
لقد أحال حقولنا إلى خرائط ورقية ،  
وقلوبنا إلى فقايع فطارت جميعُها مع الريح  
أهو الزمَنُ يبتلعُ عشاقه؟  
يزمجر ويخبط بذيله على الأبواب والأرصفة ،

ورحنا نتشبت بجلده ،  
كي لا نسقط في هوة الضياع  
ماذا ينفع التحدي؟ كل شيء يحترق  
وعلى وهج النيران ، انتشر الزحام البشري المخترع  
في الأعماق  
هذه فوضى الروح  
من أين جاءت تلك الحشودُ اللانهائية وكيف  
دخلت أعماقي خلسة ،

إنهم الطامحون إلى تغيير العالم ، وجعله  
من لحم ودم . صفوفٌ مشحونةٌ بالكبرياء

أو التوسل ، شامخة كالعصي  
أو زاحفة كالديدان . وأخذنا نجري مذعورين ،  
حتى تخفَ أقدامنا وتعمَ كالنفايات .

ولكن يا لثقل أحلامنا : ملوكٌ في تخيلاتنا  
السريّة الخاصة ، ملوكٌ ينتصرون ثم لا يلبثون  
أن يهوا كحجرٍ شطرنجٍ قهره لاعبٌ ماهر  
من أين جاءتُ الحشودُ اللانهائية؟  
في النهار؟  
وتحت أشعة الشمس الواخزة ، ماتت  
وانقلبت إلى بثور مؤلمة  
وهكذا انحسر المد الرائع وتركنا صرعى الخسارة الأبدية





## عشاق من الرمال



## في مملكة الأسرار

من يصدق أن الحب ،

ذلك الملاك الجميل ذا الجناحين الصغيرين ،  
بطل الروائع ونبيد الشعراء ،  
هو الذي اغتال هاتيك الكاهنات الريفينات ،

مع ذلك يبحثن الآن عنه بضراوة ،

ليصنع من تلك الشقوق والمهاوي أبراجاً  
أبدية ،

لينثر بذاره الرائع في أثلام الزمن العميقة ،  
وتحت ظلال الشكوك الوارفة

على طرف الاندحارات

أشعل حرائقه ،

تقلب في العراء ، حيث ينفجر القلب ،

بعد أن صار كالرأية الممزقة

\* \* \*

ثمة قلبٌ لا يرغبُ أن يتعفّر في تراب الحبّ ، يخشى السقوط فيه  
مهما كان مُدهشاً ، يحبُّ الطيران الأبدي ، باحثاً عن الذكر اللامرئي ،  
في وطن الغيوم والنجوم .  
في وطن الرعد والعواصف ، حيث أثر الانزواء ، لا مبالياً بعشاقه  
الأرضيين :

أولئك الكاهنات الريفيات ،  
المتعبدات في رؤوس الجبال .

\* \* \*

أيُّها المحيطُ الأشقر ،  
يا أوقيانوس المحبة ،  
مفتونات بقلبك الذي يبتكر الكون ،  
أيُّها العاشق البرونزي ،  
ها هنّ يتشردن في ظلمة الفراش ،  
يتقلبنَ في خناق الضجر ،  
وتحت الفضاء الأصهب ذي الأطر الذهبية  
في ظلال شجرة الذهن الجرداء ،  
تسرب طيف العاشق إلى فيئها

وتقلب فيه حتى وصل إلى الغابات الأولى ،  
ذات الأرداف الضخمة والأفخاذ المترهلة ،  
والمرتوية بالزمن ،  
تحت جناح الظلام الكثيف ؛  
قذف جيلاً واهياً كالأحلام ،  
جيلاً من الغيوم المسرعة ، دفنه كالوثائق السرية  
في مرجل العالم ،  
في أقاليم المرأة ،  
حيث الشك واليقين ،  
الحلم واليقظة ،  
حيث الإفصاح المعيب والكتمان القاتل ،  
والجسد المرتعش يشي بالأحلام ،  
حيث تصم أصوات الجرافات الأذان ،  
وهي تهوي بالذكريات والحضارات ،  
تنبش الأرض بذعر ،  
تريد أن تسترد تلك القلوب الرائعة  
لأبطال الحب العذري ، أتراها تفتنى؟  
فالمقبلون قلة وريح الأعماق ساخنة .

## ليل الظهيرة

ها هي الذكرى تنطلق لتكافح مياه النسيان ،  
تفشي الأسرار التي يطويها العاشق ،  
أسرار المرأة المدعورة ،  
مستلقية وزاحفة على التراب المرّ ،  
والعاشق ينحني أمام موجهها . بحرّها الهائج ،  
يندفع في غمار نارها ،  
يتبعها ،  
يتوغل ، مختبئاً خلف الستائر المقرفة ،  
رامياً بجوعه على الأرائك وبقايا المفارش ،  
متمادياً ،  
يحكي لها الأسرار المضمّنة  
يدفنها في جحور الصدر  
علّهما يقبضان على تلك الروح ،  
الروح الثالثة ،

وهي تسري كالكهرباء  
ثم تنطلق لتتركهم ملوثين وسعداء .

\* \* \*

ها هما في العراء ،  
منهمكان بالفرح ، والحزن يدفع بجيشه بحلقة ،  
بين المداخن والأسلاك وبقايا الريح ،  
الليل يحملق بعيونه الكثيرة واللامعة ،  
في ذلك الشلو النحيل ، اليائس ،  
ذلك الشلو الذي يتقلب ويتألم في الأتون ،  
بعد أن فرّ نجم الأعماق ،  
ترافقه تلك السوناتا العالية لضربات القلب ،  
ربما انطلق  
إلى الأعلى ،  
إلى أعلى ما يمكن ،  
واستقر إلى الأبد في قمة الليل

لممت أسماها وهبطت السلالم المائلة ،  
النخرة ،

سلالم العمر ،



إلى أعمق ما يمكن أن تصل إليه من الهزائم  
بعدها التصق الليل بجلدها من الداخل  
وهو يلتهم أجزاء حارة من الوجود .  
جعله مشوهاً وناقصاً  
وهناك ، في الزقاق المائل والمتقاطع ،  
حيث أطلت فتيات مذعورات ، من الشرفات ،  
يندبن ،  
لقد أثارهن منظر امرأة ذات شبهة  
وهي تغيب في المنعطف .

## رماد الحضارات

هكذا كان في غمرة الأفراح الزائلة والآلام الصاعدة ،  
تحت ورق الخريف الذهبي ،  
يعتلي المنصة كالضواري ،  
ليتخلص من انتمائه إلى تلك الأجيال ،  
وذلك الوطن ،  
إلى المرأة التي يحب ،  
المرأة التي جعلته يجري وراء الخلود  
بقدمين وهميتين ،  
أصر أنه سيقول كل شيء ،  
فروعة الحزن أن يقال الآن ،  
أن يهدر أول المعركة .

\* \* \*

كانت تختبئ في دمه ،  
مع ذلك لم يكتشفها إلا فيما بعد ،

المرأة الوحيدة التي يتطلع إليها من النوافذ  
والأحلام ،  
ثم يمضي على أدغاله كالنار ،  
يسترق السمع إلى لهاثها ،  
إلى زفيرها الحار ،  
ثم يفر مذعوراً إلى الأسواق والحمامات ،  
إلى المواخير المكتظة ،  
ليروي جرحه العميق .

\* \* \*

من دفعها إلى عبور ذاكرته في ذلك الوقت ،  
وهو يعتلي ظهر التاريخ كيئس يبحث  
عن متاهة جائعة لرجل من الثلج ،  
أو هشيم لرجل من نار ،  
ليبحث عن الروح الخيالية التي نحسبها سجيناً  
الجسد وهي في الطوفان ،  
الطوفان الذي اجتاحه ، غيره ،  
ثم أسلمه لنيرانه

\* \* \*

«أين تذهبن يا نجمة الصباح؟»

ما أكاد أفتح عيني حتى يَخْتَفِي ،

أية ريح تأخذك؟

نامي في كتابي ، استيقظي في حلمي ،

هاتي نارك لنوقد العالم ،

تمسكين بعكازه ،

بساعديه الكليلين ،

وأنا أضرم رعبه ،

أطلق هواجسه ودخانه القاتل ،

هل كان لك اسم آخر وأنت تعبرين عالمنا؟

هل كان اسمك الخلود أو المرأة التي أحب؟

ولكن ماذا تقولين لأولئك الخدوعين وهم

يتمللون في النار؟

أما تحدثنا طويلاً عن مشكلة الخريف والعواطف

المتدهورة؟

ألم تكوني الحلم الذي عذبني ، شردني ،

دفع بي إلى المواقير؟

لأرى كيف يجري العالم من وراء ظهري؟

لأرى كيف يتدفق الذهب المدفون في قلبي سدىً ،

أما زال غبار قبلاتي يرتعش على جسدي؟

هل أنتِ الأنتى المنحسرة ، الغارقة في طمي  
الحضارات ، في ظلام ملفاتها؟  
هناك دفنت وردة عمري ،  
دفنتك .

ولكن أرى دمك مازال يجري في عروقي ،  
وقلبك يطرق في رأسي ليل نهار ليل نهار .  
لقد حلّت روحك فيّ ،  
- اطردها ، اطردها روحها ، علني أنام ،  
في بئر المواخير أو على أجنحة الرصيف  
لا ، بل دعوها ،  
دعوا جمرها يكوي أعماقي ،  
حيث صفير الفناء يهدر في أذني» .

\*\*\*

أصغوا ،  
- أهى التي تنادي الغرماء : «يا حبي الرائع»؟  
أهى التي تمسك بذهب الزمن وتلقي نحاسه إليّ؟  
- لكن لماذا أنتِ في جسدي؟  
السماء أمامك ،  
فرّبي ،

ضاعفي أجنحتك وطيري ،  
وإذا ما علوت الكون ،  
إذا ما بلغت السماء الأخيرة لن تفارقي صدري ،  
وسوف تبقين شرسةً وغامضةً ،  
تحسين الخمر في بيوت السماسرة والمرابين .  
ثم تنادينهم : «يا ملائكة العصر» ،  
هذيان ،  
العالم يهذي ،  
يمزق أعلامه ويفترب ،  
ينفض غباره في عيني ،  
لولا ظلي لسقطتُ ،  
ظلي الذي اتكأت عليه أيام المحن ،  
حضنته ، تذوقته ، احتميت به ، سرّرت وراءه  
كالجبان ،  
حتى سرقته الريح ،  
بل المرأة التي أحب ،  
استدرجته ،  
تنزهت معه في حدائق الورد ،  
فتوحشت شهيته ،

تجنحت رثناه ،  
واتسع قلبه  
أركبته عربة الريح ،  
وأنشدا : «روعة الحب أن يعيش في العاصفة»

\*\*\*

- «فجريني .. فجريني  
ما عرفت لجسدي جميع تلك الشهب ،  
جميع تلك الشظايا» ،  
- «أسرع ... أسرع ... العالم يفرّ ،  
اصطده ، اطعنه ، افترسه لا تتركه يغيب»  
x x x

استيقظي أيتها النار الكونية ،  
لقد استفحل الظلام وتوسعت خرائطه ،  
أيتها النار ،  
في الحضيض رجل من الهشيم يبحث عنك ،  
مشى بأقدامه المحترقة على القصائد لتلتقط  
تلك الشعلة الذهبية ،  
وطئها وهو يصرخ بجنون :  
«موتي ... موتي ...»

لقد انتهى عهد الحب .  
عهد الصراخ والإبداع» ،  
أخذ يروح ويجيء في جوفها وقد اشتد  
إوارها ،  
يرفس ألسنتها الضارية وهي تروي قصة  
الفناء ،  
وشيئاً فشيئاً صار الشعر كومة رماد ،  
راح بقلبه بقدميه باحثاً عن الخلود ،  
عن الأجيال المسرعة مع الغيم والضباب ،  
عن المرأة التي يحب .  
لم يكن غير الرماد ،  
ترى ، ما الذي ينجو من الرماد يا نجمة الصباح؟





# ذَكَرُ الْوَرْدِ

٢

الطبعة الأولى ١٩٨٨

إلى البيوت الحميمة التي طُرد الإنسان منها،  
وتلك التي ابتلمته وأهلكته،  
إلى الأبواب الموصدة التي تساقط أمامها  
وهو ما يزال ينتظر.

سنية

## فجرُ نسيمه القصيدة

تقرّر القصيدة مصير العالم الذي يقف خلف  
أميال من النيران الشعرية . . . حين مجتاز تلك  
الأميال بخفقة قلب .

س

### . ١ .

في العمل الإبداعي يدفع الشاعر بشفرة ذاته داخل القشرة  
الثقافية الأخلاقية ، وعبر النواة الجلمية ، ليصل إلى مذاق الحياة  
الحقيقي . بذلك وحده يصير نسيج اللغة الشعرية نسيجاً مشعاً .  
لكن ، هل يمتلك القارئ في داخله المناخ الملائم لوضع تلك  
الإشعاعات في إطار الفعل ؟ إذ من شروط قارئ الشعر أن يمتلك طبيعة  
قابلة للنفاذ . وتلعب الثقافة دورها في تهيئة تلك النفاذية ، من أجل أن  
تتمكن الأشعة المنبعثة من النص من اختراق لا وعي القارئ وإضاءته  
والتحرك داخله . ويقدر ما يكون القارئ غنياً وحساساً ، تلاقي تلك

الأشعة المناخ الملائم والسطوح العاكسة لها ، والأزمات المتفاعلة بها ، فتجري في ثناياها وعلى امتداد محارقها التحولات الإنسانية الكبرى : أحلام معلقة ، ورؤى ملحة وأزمات مضت ودفنت في الأعماق ، لكنها لا تزال فاعلة ، متلقية ومرسلة . فالشعر لا يقوم حقاً إلا بتداخل عميق ، خيالي ، حلمين مشحونين بانفعالات إنسانية متباينة أو متلاقية . خيال الشاعر وخيال القارئ ، وفي عملية الإخصاب هذه يأتي جنين زمني يحمل خصائص الشاعر والقارئ . هذا الجنين هو الخطوة الأساسية في التحرك الشعري المتواصل ، لمطاردة الحلم الممتد عمقاً حتى الإنسان الأول . تحسب نفسك قد وضعت يدك عليه ولكنك تنظر فتراه آتياً أبداً ؛ إنه آت ، آتٍ باستمرار .

## - ٢ -

عملية الإبداع هي وجه من أوجه الرفض ونوع من الثأر وإحقاق الحق . والنتاج الشعري من أسمى أشكال النمو الإنساني ، إنه إضافة أهم من تنامي الجلد والعظام .

لا يستطيع الشاعر أن يقرر ، أو ينوي ، أو يتخيّل كيف ستكون القصيدة . فالعمل الشعري لا يمكن تقدير شكله وأبعاده وهو لا يزال في الخيالة . هناك يقع في «نظام» الحلم . ونظام الحلم هو اللانظام والتحول الدائم ، ولغته مراوغة متبدّلة . وكائنات الحلم لا تُدرك إدراكاً

كلياً ، تبدأ عملية الكتابة بتأطير الحلم وقسره في ظروفها وأشكالها  
وآلياتها . والإبداع هو هذه المشادة بين نسيج الحلم الوحشي القائم في  
موقع التطرف والانفلات وبين اللغة المحكومة بالقوانين . وهذا الكائن  
المراوغ ، ما تكاد تقترب منه حتى يتلاشى أو يغيّر شكله ، أو يتسرّب  
من منافذ أخرى . وغالباً ما تخطئ الكتابة هذا الحلم الشعري ، وتقبض  
على ظلاله وآثاره . ما إن تتجه نحوه بالوعي والإرادة وقوانين اللغة  
والأشكال حتى نجد أنفسنا بعيدين . هذا التأرجح الذي يلزم الحالة  
الشعرية ، هذا التأرجح الحار المعذب يؤدي إلى إلغاء الضبط الذي  
يخضع الصورة ويحددها ، وهو كثيراً ما يشطرها تاركاً أحد شقيها ينزف  
في منفى الشك والحيرة والشطر الآخر في سجن اليقين . وحالة النزف  
الشعري حالة غريبة . إنها شبيهة بجراح شيشرون التي لا تشفى ،  
ولكنها لا تبلغ حدّ قتل الصورة أو تلاشيها ، بل قد تغذيها أو تحييها  
بالألم والتصدّع . لأن هذا التصدّع يمنح العمل الشعري حيويته ويشكل  
الثغرة التي منها يطل القارئ على ذلك الجوف المتعدد الأحشاء ،  
المتعدد الذكريات المتعدد الجذور الذي هو الشاعر .

### ٣٠

إن فترة اختزان الحدث أو المحرّص ، أو فترة خصائصه هي حقيقة  
إنسانية . الشاعر هو الجوف أو الرّحم أو الأتون البشري الذي تنتقل إليه  
شريحة حيّة من العالم . شريحة تتميز بالغرابة ، لا تتوافق حركتها مع

حركة العالم . أو مع درجة ليونته وصلابته . عندما تنفصل عن العالم يلتقطها الوعي البشري الذي يمتلك خاصية استيعاب تلك الشذرات الضدية أو المتحررة واختزانها . وهناك تخضع لتحوّلات وتفاعلات وتدخل في تركيب عوالم جديدة أي تتحول إلى شعر أو أي شكل من أشكال الفن . وحقل العلوم الطبيعية مليء بأمثلة مشابهة لذلك الانفصال . تقع شريحة العالم الحية تلك تحت فعل اللاوعي البشري وتقلّباته ولغاته الموهبة . فالشاعر عندما يتألم أو يظمأ ، يتثلج أو يتعرق ، يحلم أو يذعر ، عندما يُضطهد ويُضام ، ويواجه الضغوط والعالم المتصدّع يرافق ذلك كله أنواع من الارتجاج ومناخات حرارية وانقسامات ، فتبدأ الكيمياء الشعرية عمليتها عبر ذلك المخزون البشري . أستخدمُ هذه اللغة المجازية لأتلمس الفجر الذي يطلع من ذلك العالم الغائم ، الفجر الذي نسميه القصيدة . فهذا التحرك الخاص في الوعي البشري ما يزال غامضاً وما تزال عملية إنضاج القصيدة مجهولة . وأعتقد أنها ستبقى كذلك . إذ كلما حاول شاعر أن يطارِد بالوضوح والوعي تلك اللحظة أضاف إلى غموضها غموضاً وزادها أسرارية وغيبية كل ما نستطيعه هو أن نحوم حول تلك اللحظة وأوضح ما أستطيع قوله هو أن القصيدة قد تبدأ بحادثة حية ، تغيب في وعي المدّة الكافية للضرورة الشعرية ، وتتطور إلى حالة قابلة للاشتعال أو الصياغة الشعرية . لا قصيدة دون هذا الاحتراق .

تقوم القصيدة على إضاعات حلمية ، تقوى لحة اضطرام الطاقة التخيلية أو لحظة الانفجار الداخلي . أما إذا جاءت وقت خمودها فتحصل على قصيدة خاوية لا تحمل التوهج الإبداعي . واللغة الشعرية أصعب اللغات ، لأنها ليست بما يمكن تعلمه وإتقانه إتقاناً علمياً أو عملياً . وعلى الرغم من ضرورة المعرفة والتعلم لتعهد ذلك الحافظ الغامض فإن سر اللغة الشعرية يبقى دائماً خارج دائرة التعلم . والحسن الشعري حسن خاص يقوم على خرق ما تم اكتسابه وتعلمه خرقاً يعيد للغة طهارتها . العادة تقتل في اللغة هذه الطهارة أو الشحنة الشعرية ، وتحيلها إلى لغة حيادية عملية هي ما أسماه اللغويون «النثر» ، مما دفع بالشعراء ، فيما بعد ، إلى البحث عن الانحياز والانحراف اللغوي والتجاوز . وهذا ما جعل التجديد القانون الضروري للإبداع . إلا أن فعل التجديد ، لا يقوم في اللغة دون الانفعالات البشرية النادرة ؛ الموقف الشعري الجديد وليد اللسعة الشعرية الجديدة ، والعمق المتفجر باستمرار . فهناك تبدأ القصيدة الجديدة ، القصيدة التي تترافق مع التغييرات البشرية وتطور العلوم الأخرى . فكل عصر له خلق معين وطبائع متميزة ، وقدرة خاصة على الاستيعاب وأقنية تعبير خاصة به .



التطور الشعري نضال لتحرير الإنسان . وليس من قبيل المصادفة أن تكون الحركات الشعرية الثورية قد اقترنت بالثورات وحركات التحرر الاجتماعي من الرومنطيقية والسريالية حتى حركة الحداثة العربية هذه الحركة لا تتم على مستوى القصيدة إلا لأنها تقوم على فتح الأبواب أمام اللغة الخفية ورفع الحُرْم عن عالم الحلم واللاوعي ليعيد صياغة العالم .

بل لم نر ثورة شعرية أو حركة تطور إلا وهي قائمة على قاعدة جماعية وإن توجهها تألق فردي . والشعر حضارة كاملة لها أروقتها وأعمدتها وتاريخها الكامل . تاريخها هو ما تهمله التواريخ أو ما كانت تهمله حتى الآن . تاريخ الحساسية البشرية والحلم البشري ومعارك الإنسان مع القمع والحدود ، تاريخ القفز خارج اللغة أو توليد اللغة ، تاريخ الرؤى والمثل التي قادت الجموع . ولا يمكن في حركة شعرية تطويرية الانسلاخ عن هذا التاريخ ، لأنه مهما بعد فهو يسكن تحت وسائدنا وتحت ألسنتنا ليلاً نهاراً . ربما لهذا ينبغي أن نفهم العداوة التي جوبه بها الشعر الحديث . للناس الحق في الدفاع عن أحلامهم مهما استهلكت أو هُتكت . ولكنهم لا يدافعون عن هذه الصور والأحلام وحدها بل يربطونها بالأمجاد السياسية والقومية ، ويحملون المجددين مسؤولية الخيبات ، ويربطون حركة التجديد بالغزو الأجنبي . لقد فات

الكلاسيكيين في بكائهم وتفجعهم على القديم أن هذا القديم نفسه يجد في المجددين أرضاً أخصب ويتفاعل بحرية أكبر ، وهو نفسه الذي يشكل منطلقهم والقوة الدافعة التي توجههم نحو المستقبل .

## ٦.

إن الحلم ، هو بشكل ما ، واقع آخر . واقع شفاف هولي ، واقع ممكن ، بل هو رجم تتوالد فيه الوقائع . وتنمو بذرة القصيدة - الحلم لتصير واقعا مُعلناً كان الشعر فيما مضى ، مرتبطاً بالسخر وبالقدرة الإلهية . والكشف العلمي مدين لتجريض الحلم الشعري الأول . هذا الحلم الشعري يجعل عالم الغيبيات معموراً بشخصيات فوقية شغلت الإنسان ووجهت حياته . ومع أن الشعر قد صار اليوم فناً شبه مهتك ، ومع أن «تقنياته» قد أرهقت درساً فإنه ظلّ المصيب الأهم لذلك الماضي الغافض والجدايات البشرية الغامضة الرابضة في أعماق الشاعر . وعندما يتفاعل اللاوعي مع أحداث الواقع يأخذ إضاءات إنسانية جديدة لا ينتقاله من عالم الحركة . من مكنن الظلام إلى حيز الوعي والنور . فيتفاعل في الضوء وحرارة الناس والقلق الكوني ، وعندما تبلغ تلك التفاعلات حدودها القصوى يجيء النتاج الشعري عالياً خارقاً

لا يمكن نقل الرؤية وهي باردة أو ساكنة . لا بد أن تُضرم وتُدفع إلى حافة الغليان . ولا تأتي هذه الحالة من الاشتعال إلا بالاحتكاك

والتصادم ، كمنشأ النيران الأولى : التضاد والتوتر أصل العالم وأصل الشعر . تضاد ما في الداخل وما في الخارج . أو تضاد مستويين داخليين ، أو تعرّضهما للقسر ، يوجب الشعلة الشعرية ، يخلخل سكونية المشاعر ، وينتقل الشعر إلى حيّز التعبير ، إلى الفضاء الاجتماعي . والنار الشعرية تختلف عن مألوف الانفعال الآني لأنها تملك صفة الدوام . والشاعر مسؤول أولاً عن استمرارها ، عليه ألا يخاف التوتر ولا يهرب من القلق ، بل أن يشحذ تلك الحساسية ويُغنيها ، عليه أن يغذي الجذور وينتظر

ما تزال ولادة القصيدة مجهولاً لم تكشف أسراره . يمكن الكلام على طبيعة الشعر ، ويمكن تحليل القصيدة ، أما لحظة ولادتها فما تزال محيرة . وإذ أقدم تجربتي الشخصية لن أجلو هذا الغموض ، بل لعلمي أقدم شهادة جديدة على ما يكتنف ولادة القصيدة من التباس ؛ فأنا لا أجيد الصياغة ولكنني أتفجر ، وتخرج القصيدة كما الصراخ . إنني أقاتل لأكتب الشعر . أقاتل كجنود الإنجيل والتوراة لأحمي ذلك الشعاع الباقي من الانطفاء . الشاعر محاط بالقسر ويقوى من التفاهات ، والمآسي المثبطة وعليه أن يقاوم عملية الرضوخ بضراوة ، مع أن هذا القسر واحد من أغذيته الأساسية . لكن متى رضخ للقسر وتخلّى عن المقاومة بطل أن يكون غداء .

أشعر أن لديّ طبقتين من الحضور ، تتحدان عندما تضطرم الشعلة الشعرية ، وتنفصلان في ما عدا ذلك ، فيبقى بعض حضوري مع الناس وبعضه مع القصيدة . الوحدة اللصيقة بالشعر المتخصّصة ببناء القصيدة تستمر في العمل ولو كنت خلف المجلى أو حوض الغسيل . عندما تحضر الحمى الشعرية أخفف من حدّة يقظتي ، من الوعي بأشكاله المختلفة ، وأستسلم ، بمعنى أنني ألغي مقاومتي لأعماقي إلى أقصى حدّ ممكن . يلي ذلك عملية تدفّق داخلية ، ترافقها عملية استسلام في الإرادة والحواس . ثم أدوّن ما أحصل عليه في مرحلة «الهديان» هذه . وعندما أرتدّ إلى يقظتي ، أقرأ ذلك المحصول بصوت عالٍ ، إذ ليس لديّ إيقاع اصطلاحي . هناك حساسية خفيّة أقيسها بالأذن والروح . هناك إيقاع أنفر منه ، وآخر يحرضني حتى النشوة فأقول «هذا رائع» أو «هذا لا شيء» . وكثيراً ما تجيء الدفقة الشعرية مُربكة محيرة . وتبدأ القصيدة بكتلة غامضة ، معتمة ، ثم تتدرّج نحو الشفافية ، وأبقى هكذا حتى أف عند شكل ما من أشكال القصيدة اللامنتهية . القصيدة عندي ، هي دوماً غير منتهية ، لكنها قادرة على دفع بذور النمو والتطور الكامنة فيها إلى حدّ من النضج . فأنا أعتقد أن القصيدة لا تنتهي ، إنما تظل تحمل في أعماقها إمكانية التحول ، من أجل أن تبقى مناخاً للحرية

هناك صور شعرية تأتي بالمصادفة ، وتبرز أثناء العمل ، وليس من الضروري أن تكون غامضة . إنما أعتقد أن الشاعر يبقى في مسيرته وفي مراحل القصيدة محيراً ومربكاً

تحت ذلك الضوء الخفي للشعر نكتشف خواص جديدة للأشياء ، حضوراً جديداً كان دائماً موجوداً ، ومن صلب الحياة ، غير أنه لم يكن منظوراً من قبل ، كالكيمياء الجديدة التي كشفت علاقات بين أشياء اعتقد لزمن مضى أن لا علاقة بينها

هناك جاذبية خاصة بين مفردات القصيدة ، بين صورها وعباراتها الصور التي تضيء يدعم بعضها البعض ، أو يأخذ بعضها من بعض ، كذلك ، أن تلغي جملة من القصيدة يعني أن تضيف شحنات شعرية لما يسبقها أو ما يليها . قد يكتشف الشاعر خلال العمل الشعري أنّ هناك فراغات في القصيدة ، فيبدأ في ملئها وهو تحت سيطرة القصيدة التي تأخذ في الانفصال عنه تدريجياً

ليست الصورة هي التي تصنع القصيدة ولا أي من تقنيات الشعر ، بل موقع الشاعر فيها ، توازن ما ، إيقاع ما للأشياء ، وضعية ما

قد يحصر الشاعر الصورة الشعرية بين فاصلتين . لكن الذاكرة والحواس والانفعالات تقوم بعملية مزج مدهشة بين العبارات والصور . لذا فالفاصلة تساعد في التنظيم الشكلي للعبارة دون أن تقننها أو تجزئها . فعندما ينتقل القارئ إلى الصورة التالية ، تكون الأولى لا تزال

في نطاق حسّه . وتسقط فعاليات الصورة الجديدة فوق ما تبقى حياً من تلك التي سبقتها . لذا تجد كل قارئ يخرج بفهم خاص أو فهم إضافي خاص ، بشيء لا نزال نجعله ، نجهل شكله وحركته

## ٨٠

ينقل الشاعر عصرة إلى العصور المقبلة من خلال توجّساته وتلاطم الانطباعات التي تخترقه . يتفاعل توتره وقلقه مع أحداث العصر والماضي الساكن في العصر والجامح نحو المستقبل . يتخذ ذلك صور تطلعات مستقبلية . يمنحها الشاعر إمكانيّة الإشعاع في الأزمنة والثقافات المتنوعة . الشاعر الأصيل هو الذي يفتح أبواب المستقبل لتعبرها القصيدة حاملة الصراخ البشري بطبقاته النادرة المحرّضة . هذا الشاعر هو الذي يفتح حواسه على العالم الخارجي ، على مياه المحيط البشري وينتظر الدبذبات الوافدة أو إشارة وقوع الفريسة .

الشعر مفترس كبير . يغتني بكل شيء . حتى العبودية تزيد غليانه تدفعه حتى الانفجار ، العبودية العريقة المدفونة في أعماقنا ، الداخلة في صميم بنائنا . فالحلم هو المسبر الضاري الذي ينبش كل شيء فيرفع الأحداث والعلاقات الدنيوية إلى مراتب الحلم المختلفة سديمية وحارة ويكون الشعر متربصاً بالانتظار

- ٩ -

الشعر جوهرياً عملٌ عفوي . مع ذلك لا بدّ من الثقافة لا يمتد عمر الشاعرية بلا ثقافة . فالثقافة لا تكشف للشاعر العالم وحسب بل تكشف له نفسه ، تجدّده . بها يحتمي من التكلّس والجمود . بالثقافة يستطيع أن يخترق السطوح المألوفة المنهكة ، أن يرى بعيداً ، أن يستعيد الكثير من طفولته ، أن يجد الجسر بين طفولته وطفولة الخليقة . الثقافة التي أعنيها ليست التي تضع الكتب وركام المعلومات بين الشاعر والعالم ، بل التي تمنحه القدرة على مزيد من الرؤية وتشجّد أحاسيسه ، بحيث يستطيع أن يرى جديداً وكأنه كائن بكر يحمل عينين بدائيتين . يرى جديداً لأنه يرى وراء ما يُرى عادة .

تظهر أهمية الثقافة عند الشاعر في المرحلة التالية للهديان . ومع تلك التحولات في مسيرة الدفق الشعري تذهب القصيدة بعيداً في الغموض الناجم عن المسافات الشاسعة بين إدراكين ، أفقين أو تطلعين : تطلع الشاعر وتطلّع الآخر . وتقرر القصيدة مصير العالم الذي يقف خلف تلك الأميال الحارّة والوهمية من النيران الشعرية الأميال التي نجتازها بخفقة قلب ، بانخطافة دهشة

- ١٠ -

جَسَدُ الشاعر هو حلقة الوصل بين حلمه والعالم ، أو بين الحلم واللاحلم ، هو معبر الرؤية . إذ كيف تمرّ التجارب المعيشية إلى اللاوعي

دون أن يكون الجسد قد امتصّ قدراً كبيراً من الواقع ، من جذبه أو صدماته ، من تبادل السيطرة أو تبادل الهزيمة؟ عملية التداخل أو التفاعل هذه هي الزمن الضروري للتحوّل إلى شعر . تخترق هذه التجارب وعي الشاعر في عبورها التراجمي المزوّج من المناخ اليومي المباشر إلى مناخ الحلم مخضعة الجسد لتقلبات هوجاء بين مهاوي الأرق وحمى المرتفعات . هنا كما اعتقد نلتمس سبب اضطراب الشاعر وسرّ توجهه وتميّزه أكثر مما نلتمسه في الاغتراب والنفي خارج طوق العمومية

كان الإحساس بالبرد ، وما يزال ، الرمز الأول للغربة أو المواجهة مع المجهول . لعلّ منشأ ذلك الرمز أت من لحظة الولادة . فالطمأنينة الأولى كانت طمأنينة الرحم المقترن بالدفء . مناخها لا يعرف البرودة إلا لحظة الموت أو لحظة الولادة . البرد نقيض الرحم . وهو الخارج . البرد نقيض الحماية ، وهو المشكلة الأولى التي يواجهها الإنسان - الطفل . تظلّ لسعة البرد الأولى حيّة في لاوعي الإنسان وتدفعه لطلب الدفء حتى ساعة الموت . هكذا على السطوح الماصّة للشاعر يتساقط الغبار ، واذ ينبض داخل شفرتي الجرح كقلبين ، قلب للغبطة وقلب للشقاء ، يولد الشعر .

- ١١ -

عندما يكون في الشعر عنصر محير ، حيّز غامض ، يوقظ في القارئ الذكي شاعريته المهملة التي يحملها بالفطرة ، يساعده ذلك



الحيز في جذب شي ما من اللاوعي الفردي ليضعه في مدار الوعي الإنساني . وهكذا تغني القصيدة القارئ ، حتى لو أدت إلى مجرد انقلاب في همومه وداخل ذاته . إنها تهيب له المناخ ، ليصل ذاته بالذات البشرية الكبرى . والشعراء المتباينون في آلامهم وطبائعهم ورؤاهم يغذون الطاقة البشرية والشعرية ويجددونها

أشهد هنا لغموض الشاعر أمام نفسه . وإذ يأتي الناقد ليكشف هذا الغموض ، عليه أن يكون شديد الحذر ويسأل نفسه : هل يريد أن يكون شاعراً آخر أم جراحاً؟ لأن الشعر لا يسلم أسراره للجراحين وإن أسلم تقنياته . عندما يحتوي الشعر في داخله على عنصر محير ، فقاعة هوائية غامضة تمنح القارئ فرصته لأن يكون شاعراً عابراً ومجهولاً ، ذلك العنصر المحير هو بمثابة آلة تجذب اللاوعي البشري القابع في أعماق المحيط الاجتماعي ممثلاً بالقارئ والناقد ، بشعراء آخرين معاصرين أو شعراء أجيال قادمة . القصيدة الجديدة رافد جديد لنهر الحساسية والتصورات والآمال البشرية ، والشاعر ربان مغامر يرسم خريطة الأمواج

سنية صالح

# الطوفان



## الطوفان

إنك من الزرنبيخ يا سيدي ،  
أفتح فمي كل صباح وأبتلع جزءاً منك  
ولم تنته .

قلت سيأتي يوم أتوحش فيه  
وأفترسك  
ثم أستريح .

جميع أدوية العالم لن تمنحني  
تلك الفرصة ،  
لا أشنة البحار ولا بخور الأولياء .

وأديان العالم؟  
هل نسيتك حقاً؟

نسيت بغالك وسياطك ،  
نسيت ذلك المسلخ العظيم

التاريخ

الذي يقال له شرفاتي؟  
قرأت مجدك ، وبالسياط رُدَّت الصفحات  
أطعمتُ كنوزك لحمي وعظمي ،  
فلم تشبع  
وليلي ليل ، ومصابيحي عجفاء .  
قلت ،  
أنهب الزيت المقدسة  
علها تعيد أبصارنا  
لكنك امتطيت جوادك وطرت إلى الصحراء

## ذاكرة النيران

كيف جاءنا وأسراره على فمه  
ومياهه العذراء بين راحتيه  
بينما أفواهنا تصرخ الحرمان؟

منح التماثيل كفاف يومه  
ومضى كسور شاهق

كان ليل الطمأنينة يجري هادئاً بين فنحذيه  
حتى غرروا به  
مع ذلك مضى بخطواته الصلبة  
دافعاً رذاذه المنعش إلى الشفاه  
حيث ترقد الذكريات والرغبات  
ويكمن الحلم في ذاكرة النيران  
لنفك وثاقه

ولو كان موروثاً  
ننشر الأشرعة لزيفره المكتوم  
نغسله في الماء الأمثل  
في الرجل الشتائي  
في نهر الأحماض  
في نيرانه العالية وغليانه الدائم  
ليكون لائقاً بظمئنا

في المصنّفات والخزائن سُجِنَتْ أنهاره  
لكنّه شقّ طريقه إلينا  
أغمدوا السيوف في أحشائه  
ونهض إلينا  
تقوّست عظامه  
ونَهَدَ إلينا

انحنيت  
ألفه بالضمادات  
ألطفه بالعقاقير  
لكنه غافلني وجرى في الشرايين  
ولم يدر أنه وقع في كمين التخيلات

أيتها المياه التي غُيِّبَت في عتمة الرغبات  
وهوت عليها الكلابات

أيتها المياه المبعثرة في خرائط السرطان  
أيتها المياه

أيتها المياه

مع ذلك ترسلين غناءك الحزين

طول ليل الظمأ

طول ليل الجسد

طول ليل الهزيمة .



## الذاكرة الأخيرة

لست أقصد وحش العفن  
ولا عواطف السماء المتقلبة الخؤون  
لا المشافي المكتظة بالتوابيت ونجاسة المرضى  
لا عبور المحيط بعد أن تشقه عصاي  
لا الوطن الذي يثقبه قبري في الوسط كالهواية  
أو الغابات العظيمة التي غرقت في باطن البحار ،  
لا الشفق أو الغسق  
لا البراري ولا محطات الانتظار  
أو ذلك الخيط الأسود الذي يقال له غربتي ووطني

خاصرةً البركان بلا ضماد  
أوراق تاريخ تفرز زرنينها هنا وهناك  
والذاكرة الأخيرة تنتظر على الشواطئ  
وينادي منادٍ على الموت فأتقدّم

ولكنني أخرج من ثقبه العليا كما دخلت  
ممتلكةً قصدي وغايتي ،  
من أجلك يا ابنتي  
لكن أوقيانوس الحرمان بيننا

فجأة أجد قارة من الغبار ،  
أجلس فوقها وأغني لك الحنين  
وأنا أدفع الموت ،  
أيتها الطفلة التي تفد إلى ذراعي  
تحت مظلة من الربيع والدموع  
لكن نعاس الموت وحراسه دون هذا الاقتراب

يا ابنتي ،  
إن تاريخ المذابح وأجساد النساء ،  
مسيرة العبيد الفاشلة ،  
الأعناق المحنية أمام الطغاة والجلادين  
جميعها تمنعني من الاقتراب  
وتدور بي عجالات كعجلات الطواحين المائية  
ولا أقوى على الاقتراب

فمن أين تجيء المسافات  
وأنت في قلبي ،  
يسارك يساري ويمينك يميني؟  
ألغيتُ جسدي ودخلتُ نفق حلمك  
ولم أقوَ على الاقتراب  
أعلنتُ العصيان على الموت وعلى الحياة  
أخذتُ أركضُ في الظلام دون أن أدركَ المخرج المائي  
ولم أقوَ على الاقتراب

طيورُ الظهيرة تنشدُ أناشيد المساء  
وأنت تهدرين في داخلي كأفواه الأنهار  
وكأصداء المحيطات يشرق نشيدك  
يَجذبُ الظلام من قرنيه  
يضيء الأفق والزبد والموج  
عيون السمك وأجنحة الطيور البحرية ،  
وتخلعُ البحار ثيابها الليلية  
لكنني لا أقوى على الاقتراب

أيتها الذات التوأم

يا أجنحةَ المحيط وزفيره المنعش  
ستحملُك جزره إلى المتصوفة والهائمين والسرياليين  
ستنقلك إلى أحلام الماء وأشواق الربيع  
بينما تغافلني ربح المتعطف  
وتخطف غباري .

باريس - قبل جوف

تشرين الثاني ١٩٨٤

## أيها الخداع يا جسدي

أيها العشاق

ضعوا العنقات في مجاري الجسد ،

المولّدات الكهربائية على مصبّات شرايينه

سابرات الغور ،

الكشافات الضوئية ،

استخرجوا كنوزه جميعها ،

عصاراته ، أحجاره ،

وليكن خاوياً قبل أن يُرمى إلى القبر

أما أنتَ أيها الخداعُ الكبير ،

فقد ظننتك ميتاً لا محالة

لكنّك قاومت أكثر مما خُيل إليّ

تظماً ،

فتشرب الخمر وتهذي ،

تترينص فتجدد عظامك  
وتهبط مشتعلاً إليّ .

والآن  
هيا ، طارديني من أمّ القوئين  
إلى قوزمكان ،  
جنازة العاشقة  
وعرش العاشق  
انقراض القبائل وصمود عظامها  
على العتبات  
وقبائل من العشاق الغامضين  
في أنفاسهم رائحة السراي الأناضولية

كيف لنا أن نحذر عشاقنا الترابيين  
وهم نارنا الخالقة  
والجمرة الساقطة في مجرى الأفلاك؟  
هيا نقتسم الكون :  
ما أمام الأفق لكم  
وما وراءه لي .

كيف نكتشف لعنة الحبّ دون عشاق  
مهوسين؟

كيف نكتشف الرصاصة ما لم تمزق حرير الهواء؟  
وشوك الموت ما لم ننجب ونقاتل؟  
الذاكرة في العراء ورسائلها في الخزائن  
خيوط المطر تحوك لباسها الخريفي  
والمياه في نومها الدهري على الشفاه  
تدخل وتخرج  
كالروح ، دون أن تتجزأ

نحن العشاق الناجحون  
يئسنا وكبرنا ،  
شطرنا الطاغية  
فصرنا الجسد والظلّ ،  
أمّا أنت ،

فقد عسكرتَ طويلاً على الشواطئ ،  
وعسكر الموج والمستحمّون ،  
وعسكر أطفاله وأحفاده  
وأخذوا يبتعدون

حتى شَطَرنا الأفق  
وهوينا بين الفقرات واللافقرات  
عشاقاً مهوسين .

أيتها العاصفة ذات الأضرار ،  
أيتها العابثة ،  
لماذا وضعت حجارة لهوك في رأسي  
حيث انكساراتُ التاريخ ،  
القتل والإلحاد ،  
ومتاهات الفضاء؟  
اتركيني لغربتي وغموضي  
اتركي حبي الكثيف الخانق  
فالحلمُ البتول  
يلد الحلم المدنس تحت شفرة الرغبات .  
عسكري على الشواطئ ،  
المحيطُ يبحث عن الليل  
يستطلعُ فأل الكون .  
يا قمحَ الإغريق ،

نحن العشاق أبطالُ في الجماعات ،



نُصرم الحرائق  
لنكتشف حدود النار فينا

بدون قتال  
لن يكون حباً أو حصاد .  
الوردة الشتائية ترفض الذبول  
وحيوانُ الحصار ظامئ .  
أيتها الكروم  
امنحيه ما يكفي للهديان ،  
مثل سكير على رصيف ،  
يطير بأجنحته الفضيّة  
إلى عوالم مرتجلة ،  
أو قمر بين المكانس  
هزبل الضوء غائر الخدين  
وقع في شبّاك الغيوم .

أيتها الكروم . . .  
ما من ضوء انتصر على ظلام  
ما من شجرة غلبت على ظلام

ما من شجرة غلبت عاصفة ،  
ألف قرن من بناء العنابر ودور العرض والسكن  
ولا شيء يكسر وحدتي .

باريس

شتاء ١٩٨٥



**مليون امرأة هي أمك**



## تخرجين من أسوار الجسد

إلى شام وسلافة

(لأن سيميليس اشتهدت رؤية وجه الله ، وقع على  
بيتها شعاعه ، فولدت وهي الإلهية ثمرة  
العاصفة ...)

هولدرن

أيتها العصفورة

يا ابنتي

دفاعك البريء يشع فيّ

فأضحّ روعي في صدرك ،

أحقتها تحت جلدك كالعقاير ،

الليل يدقّ أجراسه ،

هل نويت الغناء؟

لصوتك الرائع يخشع المصلّون؛

ويصغي الإله ،  
يأتيك بالطعام الملكي  
لتكن خطاك حكيمة في الامتلاك الصعب  
للقب المضطرم

ها هو العالم يدور  
يُسحَب قسراً من أعمارنا  
لِيُمنَحَ بالمجان للصوص والسفّاحين ،  
اضرميني يا ابنتي ، جدّديني ،  
لقد تعفّنتُ في النسيان  
يردمون فمي ، ولكنه عميق لا قرار له  
أفسدوا ذاكرتي بالفجوات ،  
بهندسة الجوع  
بتقلّبات الجسد .  
ترثي ،  
أطيلي بقاءك في جوف الزمن  
وفجّري ما ينذر انفجاره .

ها هي الأرض تصعد معنا ،  
كي لا تسير في هواء الافتراضات ،

تتقدّم نحو الحلم  
تطير كالفقاعة في فضائه  
حاملةً أطفالي ، إلى اللازورد ،  
شام تقف في المقدمة  
سلافة تهزّ شجرة الغيوم ،  
فتسقط الدموع كلّها  
الدموع التي أغفلها التاريخ ،  
الدموع التي أنكرتها العصور .

يا ابنتي ،  
هياً نلهب جراحنا في الحمّامات المعدنية  
للأمّهات الشقيّات ،  
من قال إن الموت يُبلي الإنسان؟  
جدّتك صارت نجمة في ليله ،  
جدّتك الخيالية ،  
جدّتك الوهمية ،  
جدّتك المسحورة ،  
ما إن رفعت الحياةً سوطها القاسي  
حتى اختفت .



كيف؟

لا أحد يعلم .

جدتك الشجر الكثيف ،

جدتك الزرقاء

وأحيانا القرمزية

الصغار ينتحبون على ركب الأمهات

المهانات في الغرب المعلقة كالصناديق

على حافة الظلام

بين أقوام يغوصون حتى الركب في الجماعات ،

يبصقون على الخصب

وقد تنكر لهم ،

يبصقون على الأسرة

أدمنوا النوم في العراء .

الصغار يدفنون رؤوسهم في نوافذ الأولياء

تتأرجح صررهم

بعضها يسقط

والباقي لا يشبع كلاب الطريق .

أما أنا يا ابنتي ،  
فقد كنت أدفن نفسي في الظلام وأبكي ،  
أية وحدة تأتيك تحت الغطاء!  
بين أقوام يغوصون حتى الركب ،  
توحشوا من الجوع والقيسوة ،  
غرفهم تتأرجح  
يلؤها هديرٌ بشري غامض  
نوافذهم تمزق الظلام  
وسلامهم تنزّ  
لم تعد أعصاناً قوية يافعة ،  
حتى الاختناق عجز عن كتم أنفاسهم  
من ذاكرتهم يتدفق هواء الحقول ،  
الظلام يهدر من تحتها  
يهزّها من الجذور  
يمرق في المفاصل  
عابراً مجاريها الضيقة ،  
الظلام يدفع الغصص في الأحشاء ...

ولكنك الآن يا ابنتي

تتكورين دافئة في أحضائتي ،

تبعثرين شعرك الأسود  
أو الأشقر  
في الاحتفالات الخانقة .  
عانقيني . . . عانقيني  
فذكرى السنين الماضية لا تلمس إلا بالروح  
أو بورد الشفتين .  
عانقيني  
لقد عبرتني آلاف السنين الوهمية

يا ابنتي  
شام الملوثة  
أو شام التي تهبّ مسرعةً إلى العمل ،  
شامّ الانبهارات  
لستُ معكِ ،  
ولن يلتقط شعري عذوبتك  
فأنا مشوّشة بالخسارة  
أستنجد براءتك  
بضعفك الطفولي  
وأصلّي بحرارة ويأس  
كي يصير قلبي الضعيف بحجم قدميك

زمن يزحف من تحت الأبواب  
ليتمكّن منّا  
وعندما أردّد اسمك  
أشدُّ كأفراس وحشية  
ها أنت تكتبين يا صغيرتي  
أيتها الحارسة الذكية للسلاطات  
لقد منحّك روعي ،  
حجم العين وشكل الهدب ،  
الأطراف الرخامية ،  
الزرقة والشقرة ،  
ولما جاء الصباح كنتِ مكتملة .

أيتها الطفلة الفوضوية  
ماذا أفعل لأضعك في منخّط النظام؟  
ولكن لا ،  
لن أرتكب هذا الخطأ .  
النهاراتُ تنطلق كالحمى في جسدنا  
والبكاء يصعد ويهبط في الأسواق . كلما نهضتِ  
سمعتُ أفراسَ الهواءِ تصهل  
فيرمي القلب عليها بأثقاله .

يا ابنتي ، يا جذري العميق  
أنت خطئي وصوابي الأعظم ،  
هيا العبي  
صار العاشق إلهاً لأنك من جنونه .

يا ابنتي  
كنتُ وحيدة فتجزأت  
وبقيتُ أجزأً  
حتى خلقتُ شعباً أنتِ أسطوره  
يا سليلَةَ الريفيات  
يكتُمَن صراخ الولادة  
ثم يقذفن بالأجنَّة إلى أحواض النحاس ،  
والجوعُ يقرع طبله في الأحشاء  
والفقر يعرِّي العظام ،  
مع ذلك أضأتك بأعظم الرغبات .

تخرجين من أسوار الجسد  
ومعك أجيالٌ يضيئها عبورُك الصاعق ،  
إنها الولادة فلا تخافي

نبدأ عراكنا العظيم ،  
تلتقطين ظلي وتنهضينه ،  
فيهوي ، ثم تنهضينه ،  
فيهوي من جديد  
أنت أيضاً صار لك ظل  
وصار يهوي .

يا صغيرتي ،  
يا غابة الآلهة والنساء الخالقات  
نتألم آلام الفراق الأعظم  
نتشجع ونصرخ ،  
يتمزق جسدي  
ويحشرُ جسدي في عتبة العالم الأولى  
ثم نصرخ .

لا تيأسي ، واتبعيني ،  
ففي قلب الأدغال المجهولة  
أدغال رامبو ولوتريامون  
أشياء رائعة خلقت لنا ،

في قلب الأدغال  
شجرةٌ للحلم  
فاتبعيني

## ثقوب الليل

وعداً يا أمي  
أن أسوق دمي ليسفكَ وحيداً في العراء  
مثلك .

الليل العالي  
يبحث عن نجمة تصيرين إليها  
نترصدّها ، علك تهبطين  
أو تبعثين شيئاً من نَعَم الآخرة  
لنا ، فقراء الحياة .  
اثقبي الليل بتقاك  
بفطنتك وغموضك  
علمينا ما الولادة وما الموت  
وأَيّ جلد نلبس في تحوّلنا الكبير؟  
أي ليل نغيب فيه  
وأَيّ فجر لا نهائي



للأرواح والحريير والذكريات؟  
أرى عذاب الأرواح في الولادة وفي الموت  
في الحبّ وفي الكراهية  
في الاعتلاء وفي الهبوط  
مع ذلك  
تخرجين لملاقة نارك  
وقد احتست خموراً الذات  
وأفيونَ الفراق  
مبهمة غامضة  
صامتة ومطبعة

كيف جرّدوك من الهضاب والوديان  
من الربيع والخريف  
من الشجر والرّضى  
والفضاء مليء بالأحقاد؟  
وعداً يا أمي

## امراة من الطباشير

ينبشون المستقبلَ من أحشاء الرمل  
يتقلبون في السنّ  
وفي المزاج  
ليروا أين يذهب الزمن الذي يحبون  
أو يرحلون في النار  
وألسننتها تروي الغرائب  
أمام سلوكي وحيد .  
إنه الطقس اليومي لتحرير الخلايا .

امراة من الطباشير  
تعانق عشاقاً من الرمال  
دون أن تطلب فواتير الخسائر  
ولا إيصالاتٍ بالآلام والأحزان .  
تعبر العواصف

تدخل القاطرات المسرعة  
تخوض جوف الرّغبة  
بصلابة المقهورين وجشع المحرومين  
ولهاثها ينطلق كالدخان  
من الشرايين والأزقة  
ومثل لصوص مذعورين  
تفرغ حملتها من الأحلام والرغبات .

كيف يدخل الربيع والحب  
إلى جسد تحكمه الخسارة؟  
كيف تُستأصل الكلمة من الفم المطبق؟  
والشقاء رصاص يطلقه شخص وهميون  
يداعبون القلب بضراوة  
تتبعهم إلى المغاور  
والطباشير يتساقط منها  
فتطلع غابات الأشواك  
وتُسقط نقابها البلابل  
ينطلق الأطفال بسرراويلهم القصيرة  
خارجين من الطفولة

يتقلبون في السن وفي المزاج  
يصرخون ،

قلبٌ من هناك وقلبٌ من هنا  
تحملهم القطارات  
خارج جنون الريح  
خارج أفراح النار .

كان ذلك فيما مضى  
لكنّ الشفاه صدئت  
صدئ الكلام  
وجفّ حبر الرّوائع

## العاشق الويال

منهزمةً

تنطلقُ العاشقةُ

من فم المداخن ، من ليلها الطويل

بأطفالها وحيولها

تستسلم للريح

حشدٌ من العشاق السفّاحين

يطاردونها

- حذار أيها العشاق وإلا تجزأتُ

أنا المرأة المتعدّدة

خُلقت من أجل الطراد العظيم

من نسل عاشقات منهزمت

إلى مواقد الكون انحدرنا نُفرغُ نارنا الكوكبية  
نكتشف ملكوتنا المؤقت  
وحكمتنا المنهوبة  
ونشهق كما في الولادة .

هيا طاردوني  
طاردوني كجنود أسطوريين  
على خيولهم الرخامية  
طاردوني في الإلحاد وفي الإيمان  
طاردوني في الانكسارات  
من خلال كبوة الذكر وارتعاش العظام  
طاردوني في أحشاء الأشجار  
في كبد العواصف المعدنية  
حيث أختفي  
كسيدات القصص الخرافية

نوافذ الهجر تتقابل  
والكلام يرق بينها كالبرق  
أيها العاشق الوبال

شطرتني كما العاصفة  
فهويت في شقوق الفجر  
وفي أعماقي ساطع الجنون

## يمضغني كما في المجاعات

لستُ أهذي  
لكن شقائي هو الذي لا يُصدّق  
تمضغني أصنامُ الجاهلية  
كما تُمضغ الأحقادُ في الحروب ،  
أو كلقمة في المجاعات ،  
ويحوم الجنون  
كعزفٍ ماجنٍ فوق رؤوس الحزانى ،  
تزعق أوبرا خيالية  
احتفاءً ببؤساء هوغو  
ودوستويفسكي  
فهل من يعيدهم إلى مفاهم الصامت  
أم يهربون  
وأقدامهم مفرغة من العظام؟



الرصاص لم ينقطع منذ العصر الحجري  
فهل نجتاز مضيق الولادة  
والليل ينفضنا كالسياط؟  
القمر الآشوري ينوس  
وكأنه يحرس النهايات  
نقتل اللغات كلَّها  
وتنقلب الهموم صوّاناً في الرأس  
وصخراً في القلب  
وأخون الجهاتِ كلَّها  
أخون الكارثة  
أمسك روعي وأطلقها من النافذة  
كما يُطلق الحمام الذي لا يعود .

## مليون امرأة هي أمك

أيتها الغابة التي أشعلها جسدي  
اقتربي  
تجاوزي ما لا يمكن تجاوزه  
اهمسي حفيفك الدفين في فمي ،  
في أذني  
وفي مسامي جميعها  
ارفعي غطاء عصيانك  
وأزهري  
في القبة المثقبة لجسدٍ متهاوٍ .

أليس الشتاء قاسياً؟ وكذلك الزمن  
والثلج؟  
المطر والعواصف؟

لكن ، آه ما أجملها وهي تمضي .

لم أعرف للنسيان ساقين  
مع ذلك يذهب ويجيء كحصان جموح  
بانتظار أن تسقط الوردة البرونزية  
من أعالي الغصون  
فإن وقعت على ظهره طار بها  
أو بين قوائمه رفسها

أيتها الغابة التي نورّت في جسدي  
لا تخافي  
لقد خبأتُ روحي فيك  
أو بين شقين قوين كالجيوش  
(مع أن الجيوش لا تعرفنا ولا تبالي)

أغرقي رأسك فيّ  
اخترقيني  
حتى تكاد عظامنا تغيب داخل بعضها البعض  
ولنكنّ متجاورتين  
متشابكتين كثنائية القلب  
المسيني كما يلمسُ الإله الطين  
فأنتفض بشراً

كيف الهرب يا حبيبتي  
ونار قلبي تركض في الجهات كلّها  
في الكلام وفي الصمت  
من أجل أن تولدي ملايين المرّات  
في العصور الأكثر غرابة

يا غابتي الشقراء  
شدّي جزعك إلى جزعي  
أدخلي عظامك في نفق عظامي  
ثم اسحبي ما تبقى من جسدك واعبري .  
ستكون أمامك ممرات طويلة ضيقة  
والحقيقة تكمن في أشدّها ضيقاً  
حاذري أن تنسي أنك ذاهبة  
لتصرخي  
وترفضي  
لا لتنحني .

ها هي أشباح الدنيا تتقدّم  
فاختبئوا

واسترقوا النظر من شقوق النوافذ  
أو ثقوب الأقفال ،  
كلّما مرّ إليه صفّقوا له ،  
أو تسلّقوا حوافي الشاحنات  
واهتفوا : دُمّ القمر من دمه  
ولحمه من نسيجه  
ولكن متى ستأتين لأخبرك سرّاً  
من هو الإله الحقيقيّ

كان المطر القاسي ينشد نشيداً عسكرياً  
ويطلق رصاصه على الجذور  
(كيف وُلدت وسط ذلك العراك؟)

مُرِّ الوادي يا إلهي  
أن يأخذنا إلى النبع الأصيل  
والجبل إلى القمّة الحقيقية  
وإذا كان الظلام العظيم يفرّ أمام السوط  
والحقيقة تنبطح فوق بلاط الجلاّد  
والأبجدية تنقلب قوانين جائرة

والشعراء غباراً على المناضد  
سألفَ زمني وأخبئته في صدري ،  
وإذا ما رأيت ظلِّي حسبت أنني أزحف  
لأقضم خبز المجاعة الناشف .  
لكن قدمين من الحجر لا تخطوان .

هذه الظهيرة كالإسمنت  
ورماح الصقيع تبتز الأطراف  
أرواح لها طعم الخبز يقضمها الهواء  
مليون امرأة عارية يغتسلن تحت المطر  
ثم يستسلمن للطوفان .  
مليون امرأة هي أمك يا صغيرتي  
تفكّ خيط الأفق  
ليصير الموت مؤقتاً كالنوم .

فلننبش العبيد والأرقاء  
ولندفن سادة الجوع ،  
فتحت الينابيعُ فمها الأبيض  
وأطلقت نداءها الفاجع .

(واهْوَلَ فراق الروح)  
مع ذلك تترك الينابيع في أثرها  
أزهار الجيرانيوم والورد الدمشقي  
يهتف الغابرون :  
أرواحنا اغتُصبت  
ودفعت إلى صدور أخرى ،  
بوئاتق مزوِّرة  
كان الطوفان يلدهم كما الأنثى  
لكنهم ليسوا أبناء تلك الغابات الشبقة  
التي نامت في سريره مئآت الأعوام  
ولم تنجب

أية قدرة غاضبة  
تنتزع الأجنّة عنوة من أرحامنا  
دعوا ذلك الطوفان  
يحيك سرير وحدتنا ،  
ماذا يفعل حيوانه في كبوته  
والشتاء يضربه بجناحيه كالنسر؟  
في جسده ملايين الأمواج

الشوق المزمّن إلى الأرض  
والنوتيّون الغارقون  
بظهورهم المخطّطة ضلعاً ، ضلعاً  
يخرجون من باب المياه الزمنية  
ببصيرة أمضى ،  
يقولون ،  
الغابات التي دخلت جوف البحر  
ستورق من جديد ، لأن قلبها لا يموت

هكذا ، عندما يقفل الزمن بابه على الجميع  
أدخل قاطرة الموت برضى  
أمسك خيط الغياب وأجذبه  
فتأتي ذاتي الخيالية  
ذاتي التي ولدت من رحم المرايا  
بكلامها الغامض المريع  
لكن الأجساد الخائفة تفرز ما ينجيها  
وها هو باب السلام يفتح  
بين الجنة والأرض  
الحياة وحدها تأخذنا وتعيدنا ،



لقد بَطُلَ الموت ،  
وانقرضت الديدان  
وانشقَّ الحجر البشري  
لتولد الأجيال  
أما أنا  
فسأحجز بويضات الإنجاب  
في رحمي  
لتعيش هكذا ، عذراء  
من أجل ألا يحشر الربيع بين الرصاص

دمشق

## على زغب المياه

— — — — —

## معبد الشمس

إلى السيدة الأولى أنيسة مخلوف  
التي رعتني في مرضي  
ودفعت الظلم عني

تلح في رجائها وهي تنحني  
لم تترك إصبعاً أو كتفاً أو جفناً  
إلا وضعت فيه الكلام والرجاء والشكوى ،  
وكانت الشمس تصغي بكل ما أوتيت من رحمة ،  
يرتد غطاء رأسها الغامض أو يحجب بعضاً منها ،  
وهي تحار لماذا ينسحق الإنسان هكذا

وكان على رأس المرأة كثير من الآلام  
نبت شوك الشقاء على طول صدرها وذراعيها ،  
ترف بعينيها المريضتين

وتنحني  
كأن ريحاً غامضة جذبتها من الظهر ،  
ومن الكتفين ،  
تخال أصابعها ألفاً وهي تشكو  
وشفاها مئآت متلاحقة ،  
ومع ذلك لم تبلغ ، كل ما في جوفها من الظلم والخسارة .

ها هي الشمس تسطح بطوق من اللؤلؤ و عيون من نور  
والمرأة تترنح :

يا سيدتي قد تصير الحديقة غربة مريرة ،

والسرير براري متوحشة

فأومأت وهي تعتلي هيكلها الموقر

أن اهدئي أيتها البائسة

وكان هواء القصر يحسر وشاح رأسها

أو يغمرها فيه

وهي تشير بإصبعها كيف تعرج المرأة

أبواب السماء ،

وتمشي بتؤدة على حصى صلبة من الهواء

تعبر الليل والنهار إلى كهنة الطب ،

حيث يأتمرون .

ثم جاءتني بعصا تعرف خيراً منّي كيف أنجو  
فتوكّأت عليها  
ومضيت  
أضرب بها أفلاك الأرض  
ومعارج السّماء  
أستقي من ماء وأبصق آخر  
أي نهر هذا الذي يقولون إنه  
يعيد الصّبا؟  
فلن أرتوي حتى تعود إليّ طفولتي ،  
أريد الحياة مرّتين .

باريس - فيل جوف

تموز ١٩٨٤

## ملايين الأرواح خارج غطاها

دعيني أفكر يا سيّدة البحار  
التي تمنح الهدوء والامتداد الحي  
الرغبة في أن تكون الشجر والربيع ،  
يا سيّدة الماء  
الأشجار باسقة والأفق مديد  
ولكنك أسطع ما في الذاكرة  
وأعمق ما في الوجدان .

نيران المحبّة تعمق بصيرتك أمام الخراب  
لا الأنهار تنساب فوق لساني  
ولا المحيطات تمخر عباب جمجمتي ،  
تطؤنا نعال الذكورة ونحن ممزقات  
فأي سيّدة ترفع الحطام؟  
كانت الأحصنة لامعة تحت شمس الليل

والماءُ جديداً في فم الرّغبات  
حين تسلّق بياضُ الصباح رثتي  
وهجمت الريح صوب أعماقي  
هكذا لمستها السيدة بشفافية روجها  
سيدة الأضاليا تجلب الربيع  
أعلى من قامة الأطفال  
وأكثر اشقراراً  
من أجل أن تشتعل تلك البوريقات  
وتنجو بنيرانها

سيدة الصباحات  
في فمها سحر وفي عينها أسرار

باريس - فيل جويف

١٩٨٤



## على زغب المياه

إلى ابنتي

أيها الزمن الذي يغني بحناجره جميعاً  
أغاني الفراق ،  
في رأسي غربة ثقيلة ،  
وأنتما في العظم والقلب والمفاصل

الزمن يتفرّق ويحتشد ،  
يمد حبلاً شُدّت إليها أعناق  
فأصرخ : أه يا ابنتي ،  
أذوّق زغبها الزعفراني  
فيقاطعني الرمل والدّم والتراب .  
أيتها الموجتان ذواتا الديانات السريّة  
يا ملح البحر وزرقته

فوقكما تعبر سفينة جنوني  
ولحم السفينة يلين ويرقّ على زغب المياه  
على إبط المياه المنحني .

يا وطن الزرقة والشقرة

يا وطن شام

وربوع سلافة

جميع خيول الشوق أطلقتها

صوبك

ولا تزال مجنونة في دمي .

أنتما اثنتان

أنتما واحدة

أنتما اللانهاية

البر والبحر والقبطان والشمس الساطعة

والرحيل والعودة ،

الأعراس والولادة .

جميع الحروب عاجزة أن تنتزعك

من عظامي

يا نهاري ، أنتظرك

فأجدني أنتظر الليل  
لأضم طيفك كالجسد  
خذي يني يا صغيرتي  
تأبطيني كلحم ذراعك  
فلن أقوى على الفراق

## شيء ما في صدر الريح

كيف عرّى ذلك الشتاء  
طوفان قهري  
والذلّ المتدفق في عظامي؟  
استدرت علّني ألحك في الأفق الغامض ،  
في رمل ذهبيّ  
يتحرك مُربباً في القاع  
أه ذلك القاع  
اقتحم طغيانه سكينتنا  
تعقّب رغباتنا الخفيّة وأسرارنا الحميمة  
حتى صرنا مَعْبَرًا للكون ومخبأً للجنون .

أية خيول تعبر الطوفان إلينا؟

أي شتاء للطغيان؟

ملايين الطعنات غاصت في الصميم

والأسلاف خلايا حنين ، هيولى الرغبات  
ذاكرة عنيدة .

إنها الرحلة الصعبة لامتلاك نيسان  
حيث ينمو وطن مثل جنين تمزقت أحشائه  
ومضت الرياح بأطفاله العراة ونسائه المطعونات

ها جسدي يحاصره غزاة من الأشباح  
في فرز متوحش للأيام والنقود  
يستأصلون الشتاء العذري من دمي ،  
أنا الأرض وأحلامها ،  
يضعون بيوضهم في الأغوار  
فتطلق جنيناً شرهاً  
يقرض الخصب والجسد  
ويذيب ملح حماستنا

شتاء الأيام الرخوة  
ينتفض عصيباً حاداً  
يطاردنا ، نحن المهرولين في الأرض الجرداء  
مواطني الاحتمالات

مزارعي الشكوك  
نتكئ على جذع الأمجاد الغابرة  
وصدورنا تأكلها الحرائق

كيف عرّى ذلك الشتاء  
طوفان قهري  
استدرت علني المحك  
في رمل ذهبيّ  
يتحرك بكرةً في القاع .

## البحيرات المدانة

البحيرات المدانة  
تتدلى في فراغ الخريطة  
كالخرز الأفريقي ،  
تتأرجح بين الرياح العدوّة  
والصديقة

يا ابنتي  
أيتها المتعدّات  
يا حارسات البحر الصغيرات  
هل ترقبان وجبة البحر المثلى؟  
عشاءه الرباني؟  
أيتها الصغيرتان المتعددتان  
فوق الجسور المقشعرة  
النمش المنتشر على الأنف وفوق الوجنتين

والقبلات الصغيرة تجعلني  
حزينة كأبراج الكنائس  
كنت أنشئتكن في سريركن البدوي ،  
والعالم يقذف بمائه للمجهول ،  
والقلب عاصمة للعنف  
والطوفان يقضم الركب .



—

## المحاكمة



## قمر رطب

هناك حرب بين شقيّ الدِّماء

تَمّ دفع بوفود الأملح والأحماض

وهي ترتدي جلابيبها القيصريّة

إلى المعركة ،

تملأ الكهوف بتبع العالم

حيث يطل القمرُ عفناً أو رطباً

ترفس الأبواب إلى علب النوم

لتُنقل إليها الكوابيس بالمصاعد

وخرائطهم الاختناق .

والمكثباتُ تغص واجهاتها بأخبار المدنّسين

والمجذومين ، والمصابين بالطاعون

بأخبار لقطاع التهمت أعضاءهم كلاب الشوارع

أيها التاريخ العفن  
يحقنون كبذك بمصل الحياة  
وأنت في باطن الأرض  
حيث الفضلات والذكريات  
صفارات إنذارك أخرستها طبول القيصر  
يقذف البيض والحمر أشلاءهم إلى مجاريك  
لا يدفنون الموتى ، ولا يقيمون الجنائز  
ومجاريك صاعدة هابطة ومتشعبة  
من خلف الحرائق العظمى نطلّ عليك  
وفي زمن الصمت نتحدّث  
عن جمر يلد العظماء  
وجمر لا يترك غير الرماد .

فيل جويف

تموز ١٩٨٤

## المحاكمة

أنا المرأة الرهينة  
السلف يطالب بي والخلف ،  
وأنا أنتزع نفسي من فم الفراغين ،  
أحلم بأخر الكون ،  
علّ المجد البشري يشهد النهاية  
ينتظر طويلاً حتى تنتهي الحضارات  
العشاق والشعوب  
أوربما ، تهاجر ،  
وتبقى الأرض لي ،  
لي وحدي  
لأكون حواء الرائعة  
لكنني صحت  
فوجدت الحراب تطوقني ،  
لقد كان حلماً أيها القضاة .

يا سادتي القضاة  
الخريف يمزق قشرته  
مذعوراً من الفراغ والوحدة ،  
عصبياً  
أرقاً  
يتسكع وحيداً في شوارع الرّمْل  
مشغولاً بأفكاره ،  
يعلن الهجرة  
لكنه ما يلبث أن يعود مجذوباً  
بحبّ الوطن  
يضرم نيرانه ويزرع رماده .

لكن من يحصده  
وفي أعماقه الإمبراطوريات  
والجيوش المفكّكة  
رغم أزرارها اللامعة؟  
الجيوش التي تعسكر في ممالك الكبد  
أو تغور إثر الأحشاء بذخيرتها النفاذة ،  
تسحب نهارها من الأسواق

كي لا يمر نسغ الذات  
داخل الغابات الخريفية  
في كنيسة الجسد المتقدمة

أيها السادة ، هي ذي أنهارى  
تدفع بمحصولها المائى  
إلى فم المحيط .

الضريبة التى فرضتموها تؤخذ عنوة  
أدفعها إلى جوف خزائنه  
حيث يكنز ذهبه وذكرياته  
حيث تنام الإمبراطوريات  
ودموعها ملء عيونها  
تتكئ على أدراجة  
أو تتمدد على رماله .  
إنه يتعامل مع الجسد والروح  
كزبائن قدامى  
لكنه يلتهمها عندما يجوع .

أيها القضاة

إن كلمات العدالة التى بين أضراسكم ، ليست للمضغ



ابصقوها هنا في راحتي ، لأضمّهما  
أدفعها أمام الأفواه  
أغتسل بها  
والا ما نفع ذلك الماء الذي  
يدور في داخلي  
إن لم يُمنح للمحيطات العظمى  
حيث تموج دموع التعساء؟  
فمرحّباً أيها الهدير الخالد  
أيها الصراخ الطّالع  
لكي أشق ذلك الهدير الغامض  
أحمل وطأة موتي .

ينصحونني بقبوله  
ذلك الموت  
يفرونني بالاستسلام له .  
لكن ،  
تأخذ الريح شلواً من جسدي  
أجري خلفها وأعيده  
وعندما تأخذ آخر وتلهو به

أهجم ثانية وأعيده .  
هكذا دارت الحروب على  
مداخل الجسد ،  
حيث يقف رجل من النحاس  
يلقي القبض على ما يفرّ من الذات .  
أيها القضاة  
نصحتموني بالألم والتشرّد  
بالحرمان  
بحمل الجراح  
فحملتها حتى التوت عظامي ،  
نصحتموني بالسرعة ،  
ويقولون إن الكون الكبير يعبر ،  
لكن ما شأنه بقلبي؟

سأصنع نفقاً من الحب  
وأفرّ  
علّني أسبق اللصوص والطّغاة  
والقتلة ،

الذين من بصاقهم حبر التاريخ

المقدّس ،  
به تدوّن الأشواق الباردة  
والأفكار الميتة ،  
ترهات الزمن وحضيض الذاكرة .  
فأين نفرغ تلك الحمولة أيها السادة؟  
هنا؟  
أمام منصّاتكم؟  
أم في العراء ،  
حيث البرق يمنحني ناره  
فأتسع بها  
والبحيرة مرآتها  
فأصل إلى نفسي  
إلى غرف الرأس الغامضة ،  
والرعد يفتح أذنيّ للنبوءات؟

## عصي الكلام

أضغط الجلد والعظم  
لأخبي العميق من نفسي

لكنه يقلت عنوة ويسير تحت مصابيح المطابع  
وها حصانه يجمع  
داخلاً مغاسل التاريخ  
وغرف السعال  
مارقاً تحت زهرة النضج العالية  
أو من الأبواب السقلى لمدن مضت  
دافعاً أمامه بشراً يهبطون جوفي كالحجارة .

النافذة شاسعة بيننا

سوف تغص بعيون تقرص

وشفاه نافرة كالإبر

وسوف يترنح رأسي تحت عصي الكلام  
وليس في يدي سوى ورودِ ابنتي  
أهشهم بها .  
أرى أسناناً حادة ، ليست رماح الحروبِ أمضى  
ومخالب تلتقطني من الأعماق  
وليس غيرك ما يحميني أيتها الورود .

فيل جوزيف  
صيف ١٩٨٤

## فارس المخيلة يمتطي حصان الشجر

أيها الليل المقدّس  
وتبغ الحثالة في فمك  
تتعرقّ من الهمّ وتكتب مواويل حزينة  
حفظتها عن الجدّات الغابرات  
ولن تراها المطابع الملطّخة بالشحوم .

يا من تسكن الدّور العليا  
نحن عمال مزارع العلقم  
نحلم بالهجرة  
فنمتطي ظهور وسائدنا ،  
نلتفّ على نعاسنا كالخيوط ،  
والبرد يلتقطنا من الأطراف .

نحلم بأطفالنا وقد امتصّهم الشقاء  
فصاروا رسوماً على الجدار  
ليلهم الكاربوني يتمدّد كالوحش  
يضعون نومهم بصمت  
ولا هواء في النوافذ  
وحش الرغبة خارج الجسد  
خارج المدّ والجزر  
وييده نقود باطلة  
فارس الخيّلة يمتطي حصان الشجر  
يمرّ مسرعاً من النوافذ  
تاركاً الورقة العليا أكثر ترنحاً  
وميازيب الأرياف يحدق منها المطر  
الجميل

هذا ما يتذكره تعساء القرن العشرين  
تلك الشجرة التي تطلّ بقرنيها الأخضرين  
ليست ملكاً لهم ،  
ولا يمكن الفرار عليها ، مع ذلك  
يحلمون . يحلمون .

## مضيق الهواء

جميع الكوارث عبرت مضيق الهواء

وفجّرت فمي ،

وها هو السيف الذي يبتز ،

لكن الرقاب نفدت

والمثلاث مشطورات بين الغرباء

قناعهن للخدم

ولحمهن للسادة .

من يسكن ثقباً في الهواء

الجلاد

أم الضحية؟

زرقة المصباح أم لسع السيّاط؟

الظلام الحقود هناك

وفارض العقوبات يرتجل

فمن يجرؤ على الرقص والغناء؟



هيا نخزن عظامنا في باطن الأرض  
برسم الأمانة ،  
لكن هل يخوننا التراب؟

## البحر الورع

ها هو الدخان يمثُل أمام الملك ،  
ويتعرّى ،

فتظهر الجيوش والقطارات ،  
ويتطير الرصاص المتكرّر ،

من ثقوب الفراغ

أو من ثقوب الضغينة

ترى من منهم الضحيّة؟

من عبر الأفق

وامتلك السّماء العمومية

بجواده الحزين؟

الحفيدات يزمجرن بكلمات غامضة ،

ويتقطّع لهاثهن بسيف النظرات الملكية .

كوكب الأرض يتورّم

فأين نضع أقدامنا؟  
كيف يأتي الخلاص وقد نهب  
ما تحت الوسائد؟  
الخلاص الطامح للتكرار  
والقلب الملكي يسرع ، لكنه  
يراوح مكانه  
تصوّروا أيها الفريسيون  
هذا الحشد العظيم المتيقظ الراعش ،  
يغوص في البحر الكاربيبي ،  
المتشكّل في خريطة السّماء ،  
حيث الملك يرشق معارضيه  
بأعقاب السجاير  
وينأى ساعة العاصفة

## أين بهلوان النوم.

كنت جبلاً وصرت مرتفعاً صغيراً  
يطؤه الجميع .  
أفسدتنا الجراثيم وغدر بنا الهواء  
وهربت النار الجميلة  
ولم يبق لنا غير الرماد  
وحفنة من بثور الرومانسية  
فأين بهلوان النوم؟  
سكين الفراق في القلب  
ويانسون الغفلة يحشر في الفم  
وأنت ترقص جميع الروائع من بعيد  
حتى فقدت صواب الهزيمة

أصغ إليّ

وأنت واقف على شفّتيّ

لقد أفسدنا الليل  
وأعلننا الحرب على الصباح  
أصغ جيداً لأخبرك  
كيف تتسلق سوط الجلاد  
لكن حذار أن تسأل من أنا؟

## طقوس البائدين

حلّق أيها الغراب ها هو التّنين  
قد ظهر لي في الحلم . بدأ يعرض قواه  
أمامي حتى سحقتني . وأدركت أنّ من التفاهة  
أن يُخلق الكائن إنساناً

، وأنذرتني ،

أنّ ما هو لحظة في حساب أينشتاين  
دهر في حسابه

وأن له من القوى الخفيّة

ما يجعلني أكفر ملايين المرات

بإنسانيتي ،

بالنور والحب والهواء ،

بكل المظاهر الهشّة التي يذيبها

أسيد سمومه

بكل ما كان مشاعاً في عصر الرومانسية

وصار احتكاراً في عصره  
وأمرني أن أفكّ خلايا جسدي  
وأتقدّم بها  
ليعيد طقوس البائدين .

## الغابات الوردية

ضوء الطاغية يسلط على وجوهنا ،  
يأكل لحمنا ،

القطارات تمرق مسرعة تحت النوافذ  
تشحن غرفاً وشعوباً ومصبات .

ونحن نعوي من الشقاء

تركنا قلوبنا تتدلّى كالثمار المباحة

وألسنتنا تبصق الفحم والدخان

تحت الضوء الموبوء

نحتسي العفونة والهزيمة

خريف ممزق يستوطن الشكنات

والمباني الغامضة

ونحن ندفن رؤوسنا في الزوايا

نسعل ونثن

وأحصنة الغابرين تصهل بحرية



طائرة تحت الشرفات .  
الغابات الوردية تغيب في الظلام  
أرواح تعتصم في القلاع المهجورة  
لا تطالها الكشّافات ولا المجاهر  
ظمؤها أعمق من الفم  
يدخل صميمها غرباء  
جلودهم شوك  
وفي أقدامهم أفواه شرهة  
تلتهم كل ما يطأون .

## شجر يمشي في النوم

أيها الليل  
تعبّر فوق أنفاس المطابع  
ولا تقتلع ذلك التاريخ الكسيح  
قدمي المرتعشة هي التي تنتمي إليّ  
لا أشجار الكتب العالية  
سفينة من الغيم ، يتبعها صراخ الحجر  
تخترق الأنسجة في حرب خرافية  
لا ظلام في العيون ، لا خداع  
كل شيء يتعرّى  
أزرق أزرق هو التاريخ  
ماؤه بارد وشجره لا يزال يمشي في النوم  
فم الأشجار وحده يغني في المعركة  
انتهى عهد الفؤوس وصارت الحرب خرافة  
ذات عيون فارغة وفم حازم .

تصعد إلى الرفوف وتهبط في دبيب النمل  
لم يعد من صراخ في المدن والممالك ،  
الفم المتذمر انتزع من الوجه  
والشجر المتقرض يحني رأسه  
ويختلس النظر  
إلى تلك الطلقات الصغيرة من الزبد  
ابتهاجاً بعرس تاريخ كسيح

باريس - فيل جويف

تشرين الثاني ١٩٨٤

## الأفكار الصامته



## أفكار صامتة

الورود سوداء في المنفى  
النسر وحش والغابة كمين  
وعبثاً يصل الفم إلى الفم

في نقطة لا تطلها الجهات رحى أحفر  
علني أرى جوهرة الحرية  
فنشرب من فم واحد  
أو نقهر معاً  
لكن الغابة بيضاء  
وطعام العصافير تلج  
شخص ما سيطلق الرصاص  
على ذاكرتي الواقفة في الهواء

أيها السيد.

جئت أبحث مع حراسك وكلاب حدائقك

قضية الجوع الذي أسكن  
والذلّ الذي ألبس  
والقامة التي فارقتني  
وأشكو لبلاب الحلم الذي لا يثمر  
وذكر الورد الذي أهان أنثاه  
والهاوية التي يتربّص بي جنودها

عندما كلّمت الله أنكر صورتي  
وصفق الباب  
إن لباب السماء صدى يقهر ويذلّ ،  
فجأة ،

نبت ذيل بين قائمتي  
وأنا أنحدر نحو العالم السفليّ

لم تكن في ذلك الزمن أهميّة للضحايا ،  
فكيف استطاعوا أن يصنعوا من جسدي ضحيّة  
ورايةً للإرهاب؟  
كيف استطاع أصحاب الباطل أن يمتطوا رجال الحق؟

عالجوا عبوديتكم بالصبر

والصلاة

هكذا قيل لي

عالجوا قهركم وذاكرتكم بالنوم ،

أمّا أنا

فقد جلست تحت أشجار الشوك العالية

حتى أزهرت

ابتكر عقابك يا سيدي

فأنا سيف الخطأ

ورمح في قلب الحقيقة ،

أه لو استطعت قول ما أريد ،

نصل العذاب جذري الوحيد

وكل ما عداه يسقط

إن حكّه الظفر .

أهدابي يتراكم عليها صدى العزلة

وزرنيخ المنفى

اطلق سراجنا



فتحت لساني مصنّف مليء بالإهانات ،  
بذلّ يكفي لنسيان جميع الحريات .  
في الوحدة بكيت وارتعشت  
وكان الرعد يهزّ مفاصلي ،  
وغنى غبار وحدتي كطائر على الأشجار  
مع ذلك لا تعترفين بشرعيتي أيتها الوحدة  
أيتها الوحدة  
التي تستعير أشكال الحريات .

الوحدة

أن تشتري باباً ونافذة  
ومرحاضاً بمائة قفل  
أن تختبئ في أضيق الجحور ،  
ثم تزفر دخان حبك المحترق

أه لو استطعت أن ألتقط قادتي من المعاطف  
أرجوهم أن يطلقوا ذلك النسر  
من صدري  
ليذهب حيث يشاء

أوليتبعها  
من تحت إفريز النافذة في فيل جويف  
حيث عبرت ولم ترني  
جفت ينابيع لعابي  
بعد أن شرب منها الفرس والمغول ،  
التركُ وغرباء بابل والأناط  
لذا لا أستطيع أن أبصق  
على زمن يسكر بالنصر وبالهزيمة ،  
أحمل غبار الاثنين يا سيدي  
فلن يكشف أحد أمرك .

الجدار قناعي  
لكنني أسقطته في المصحّات الكبرى ،  
كانت القنّاصة تقف قبالي  
وتطلق رماحها  
فيتساقط كل ما قرأته روئاً ،  
وكانوا ينهضونني ويصلحون من شأني  
فيأتي قنّاصة آخر  
وتطلق الرماح : «حاذري . . .»

لكن

كيف أمسك الحذر؟

أقفلت ثقب جسدي كلّها

ورجوت روحي المتضجّرة ألاّ تفارقني

وأخذت أجري وراء الجغرافيين

علّهم يعرفونني تخومي البشرية

ماذا أفعل إذا كنت أتقياً الطعام

السّماوي ،

ثم أبكي وأتلوّى من الجوع؟

يهزّونني بعنف ليوفظوني

لكنني لست نائمة

ولا يستطيعون الوصول إلى المكان

الذي تعتليه روحي .

من يصدّق أن الموت يفضل طريقه؟

قوديه أيتها الجميلة

الفائقة الطهر

التي انحنت وأصلحت من شأن عكازي ،

وسقتني ماء البنفسج

ثم قالت :  
هيا انطلقى قبل أن يدركوك  
لكن المئانة على وشك الانفجار  
وقدماي عليلتان

أيها الشتاء يا سيدي  
أي شيء تريد أن تنتزعه من فمي؟  
أية بلاغات تريد أن تدونها  
عن طحالب وأشنات نمت على جسدي  
عن جراد البوتاسيوم الذي شبع منها وتجشأ؟  
لا تخرجني من وكري عنوة أيها الشتاء  
لا تخرجني من وكري عنوة  
فقبل أن أنحني لك  
تكون قد طعننتني  
ولن يبقى في داخلي إلا ممرٌ طويل للنفايات  
يعبره العالم الخارجي  
لذا أسوق باطني بعصاي  
وأعود إلى نقطة لا تطالها الجهات .



## رامبو الألف وبودلير العشرون

١٠.

كان الشعراء يفكرون في الثلوج  
على قمم كلمنجاو ،  
في الرياح على ضفاف البحيرات  
يحلمون بالأميرات النائمات مع قيثاراتهن  
تحت أشجار الأضاليا

أيها الشعراء

يا سائسي أعمارنا

النارُ الأولى تُمنح من جديد

لآليات العصر ومواقده ،

الكشفُ البدائي :

رامبو الألف وبودلير العشرون

جميعهم يجرون في دماننا ،

ونهجم في اتجاهات العالم كلها  
جموعاً تنهش وتفترس  
وتستعيد الجوع الخرافي .

- ٢ -

مساء الخير أيتها الحزينة  
وحدك في الليل ومتعددة في النهار  
تظهرين بشكلك الهندسي  
يغطيك رماد الوحدة .  
أرقيك من نافذة المنفى  
كي لا نفقد مجاذيفنا في الظلام  
أعود إلى عصورك الأولى :  
قلبي ، شعري وأحلامي ،  
لا أجرؤ على عصيانها

- ٣ -

كان نشاط الحصادين في أوجه  
في حركتهم اللائبة تحت شجر الخطيئة  
والرياح ترفعهم شيئاً

فشيئاً ،

يضمّون رؤوسهم ، يهمسون أو يصلّون .

يلوّحون بأذرعهم في الفضاء

على أي شيء يقبضون

ثم يقذفونه للريح؟

يكررون الحركة الباطلة

والريح ترفعهم

كي يقبضوا لها على الغيوم

أو ليغيبوا فيها ،

يا لذلك الحصادا

بعيداً مضوا

أخذوا ظلالهم ومضوا

تركوا حصادهم ومضوا

ثمّة انقسامات كثيرة بين صفوف الغيوم

الغيمة الواحدة تتناثر

فيخرج فراخها

ناقلين خبز الخريف إلى موائد الشتاء



أيها الخريف الزاني  
هيّا ندفن الحصاد الذي أهمل  
هيّا نجذب الذاكرة المجهولة  
لتنساب خيوط العالم تخطيط الجزر المشردة  
لتصير القارة الوهمية  
أو الوطن الآخر

- ٤ -

أيها المقتنعون بكل ما نحب  
ونكره  
لم لا تصغون إليّ؟  
لساني الثقيل سيذهلكم  
إذا ما انطلق مرة واحدة .

أيها الغامضون  
إذا مسستكم بسيفي  
شطرت لسانكم إلى ألف  
كل شطر يناقض الآخر

أصغيت إلى الأعراب والخراسانيين  
وبقيت أصغي  
حتى تساقطت أذناي في حسابات الطرق  
والمسافات  
ولسعنتني الهزيمة

- ٥ -

لو أن الكارثة تنشط  
وينبت عليها الشجر والعشب الجميل  
لو أن الملائكة تخرج من الحجارة  
والأحباء من شفرة الفأس  
لو تجري أعظم الأنهار فوق راحتي  
لو يرتوي هذا الظمأ . . .

- ٦ -

امتطت الآلهة جياذ البوتاسيوم  
المطهمة  
وعندما توقفت على حافة نافذتي  
دهشت

كيف رأته وأنا مجرد سنتمترات  
في جوف الليل؟  
فجأة انفرط جسدي إلى غل صغير  
وأخذ من الرهبة يقرض بعضه البعض  
ولما انتهى كل شيء  
أكملت الآلهة تجوالها الملكي

-٧-

خريف مبدع ، لكنّه يدمّر أنثاه  
وعندما يترنح رأسه  
يشرب من كأس أنوثتي  
كأس من خريف المعدن  
من غموض اللغة والشعر  
كيف يشعل حروبه  
وأنثاه تكنز ذلك المطر؟

-٨-

نحن والذئاب ننام  
ومثلها نموت  
يا لهذه الشراكة

- ٩ -

كيف تجيء النهايات؟  
كيف ينتهي الصباح ،  
كيف تنتهي الموسيقى؟  
كيف أصنع رأساً من تلك الصخرة التي  
تعتلي منكبي .  
كيف أروي تلك المساحات  
الشاسعة  
من الرمال ،  
وأنا لا أملك إلا قطرة دم واحدة  
منحني إيّاها جمع غفير من  
الأجداد  
وأخبروني أنها سرّي ،  
فانتابني نوع من الحيرة :  
كيف أدخلها جسدي؟  
لا لضيق المكان .  
وقلة الشرايين  
بل لأنني لم أعتد على الوجود بعد .

## غراب يطلب الغفران

شكوت ذاكرتي المتساقطة أمام أفواه  
الطّغاة إلى عنكبوت حكيم ، ورجوته أن  
يحيك لي خيطاً طويلاً يحملني إلى القمر  
لأمزّقه كورق باطل  
وقلت  
نلغي الكيمياء ، نقتلع النار من الجذور نتلمّس جمر أحقادنا  
وعندما نجوع نزرع  
تراب الجسد ونحصد قمحه المقدّس  
نهمس للريح المخلّصة  
هكذا يجب أن يكون الشوق .  
لكنّ جسدي يخونني ورأسي مملوء بهدير غامض لولادة حديثة  
ندخل نفق التاريخ وحزام الريفيات الأرجواني يتأرجح مع الريح  
كلّما توغّلت داخل ذلك النفق

رأيت ملوكاً طغوا  
أرشهم بالرصاص  
لكنهم  
لا يسقطون  
(هل يسقط زعيف الفضاء في فم الجياع؟)

ورأيت  
الدم الكنعاني يملأ الغيطان  
فرسه مقتلعة من الجغرافياً  
من أجل ذلك  
أطفأت برقي وعواصفي  
كي لا يعاقبني الله  
أسكنت غباري  
واعتصمت خلف النوافذ الموصدة  
خلف مواقد عريقة في الجنون  
لكن الأبعدية ذاتها خؤون  
(والمطر أيضاً)  
لم تذق غير مائي الوحيد

ورأيت

البحر يشب مشعباً بملحه وذكورته

أمام الغابات المنهكة من فعل الولادة

قلت

أنتظر دورة الحياة على سفن النوتيين وصائدي السمك لأرى الغابة

كيف تُسقط ذهبها والريح تلتقطه وتطير

(لا أحد يعلم أين تخفي نقودها تلك الحدباء)

ورأيت

ملكات خرافيات في مغاور النخبة ، خيولهن الفارهة تطأ

العواصم . أمّا نحن

الذين تنقصهم الحواجب والعمامة الحضارية فليس لنا إلا العراء .

مع ذلك صعدنا ، ورأينا الله في مداخل الكون ، باهراً وبهياً

في البدء أخذتنا الرهبة ، لكن بأفواهٍ متشنجة صرخنا :

هل حقاً تبلونا لتمتحننا؟

هذا ما رواه الغراب .

- لكن ، من أخافك أيها الغراب؟

من أفضّ مضجعك حتى

هجرت السفينة المدبّرة لأمور الخزائن ،

أيها البريء مثل مياه الينابيع؟

- من هكذا يناديني والخرافة تفصلنا؟ حقاً لا نبع يجري بعظمة  
الخيال . الزمن ذاته يقف صلباً وجافاً في الخلق يشرب الماء الحي من  
الشفاه ويطعن الأحشاء الهاذية يصعد منتزعا أرضه الصغيرة فيصير  
الخريف خريفين وكذلك الشتاء . العاصفة الحكيمة تخفي صوتها في  
عنقها الفارع قوائنها من الماء

مع ذلك  
سحبت خيط الكلام من فمي  
ملوثاً

بالدم الموروث منذ  
ملايين السنوات

قلت  
أشتهي رغيفاً قاسياً يوجب جوعي وخريفاً يهز مخيلتي ، يليه  
شتاء عاصف يفتح رحمها  
لتلد الغرائب .

فرأيت  
حشوداً من خيطان المطر  
تنتظر موتها أمام العتبة ، وأنا  
أمتطي أسلاك الحرمان



أيتها الجموع انطلقني

فالخريف خريفك ، والشتاء

خمر في كأسك والأزمة

التي في دمك لن تبلى

أيتها الحمى الوسيطة

رأيت

شاعراً ينهض من حضيض الهواء ، ولكن ، كيف تلتقي الفراشة

والجرادة على بنات أفكار؟ لقد دفع بتلك الفأس الموسية إلى صلبي ،

فأخذت أحتمي بالصاعد وأنكر الهابط ، أصليّ علّ تلك

الأيقونة الشقراء

تحرسني

الليل منهك

والوحدة تضرب بوحشية ،

أيها السيد

أشتهي أن أحتمي بك

لكنني أزحف تحت الأرصفة

أسترق النظر إليك

شجاعتي هي التي تخونني

ففي صدري ذلّ عريق

هل تذكرون كيف اختارني نوح ثم دفع بسفينته خارج الطوفان؟  
كانت هناك امرأة تمسك بخشب السفينة وتصرخ : هل الغراب أحق  
مني بالنجاة؟

حقاً إنني غراب ، (وهو ما عذّبني طويلاً) لكنّ روحي كانت دائماً  
تعود إليّ ، مع أنها في البدء كانت لأدم ، أتذكرونه؟ ذلك الصديق  
الذي طرده الله من أجل خطيئة واحدة؟ ولم تمنحني الغبطة ولا الأمان  
روحه العائدة . . .

تحت الرّصيف اختبأت

ورنوت

إلى المآرة

ما رأيت غير أحذيتهم .

الحذاء الملكيّ وحده أدهشني وأغراني لكن ما الفائدة ولا أهميّة له

في قدمي؟

تنفست من تحت إبطي فانتشيت برائحة العرق ، وتنفست من

قدمي فانتشيت برائحة التراب

ولم أدفع الثمن

فأنا متسوّل أبديّ

(حتى لو غفرت لي)

لن تدفئني  
وسأظلّ مدعوراً كأنّي آثم حقّاً

هكذا نسيت الرجوع  
ورأيت الصقيع يتدلّى من الشّفاه  
كالشّمار المحرّمة

قلت  
أنتزع خطّ الاستواء وأتدفأ به  
أنصبه كأشرطة الهاتف  
وألتقط الكلمات العذبة بمنقاري ،  
أقف عليه وأغني

لكن  
ها أنا أهبط الشوارع  
ومسامير المسيح في قدمي

قلت  
لأكتب بحبر الأحقاد  
لكنّني انتفضت ذعراً

أنشدت بصوت الجيوش المنهزمة :

«من يقدر أن يغلب ضعفي؟

من يأخذ ألدائي المريضة؟

من يشتري كليتين كالباطون

ومعدة تطحن قمح القرى؟»

وقلت

سأمسك عصا لأهش بها الكأبة ولن أتوقف حتى تبتعد

لكن

أيتها البشرية يا حبيبتي

علميني ، ماذا أفعل؟

نسيت فن الرسم والكلام

وأتقنت الخسارة ،

كيف أتجنّب صاعقة الغضب؟

(أين يخفي كتفيه وكيف يهرب من الوبلات وهي تطارده منذ

هجر السفينة . يعظمون الأمور فوق رأسه ، وليس فيه غير عينين

مديورتين ومنقار لا يعي ما يقول ، فلماذا يطاردونه؟)

صرخ الغراب :

لا يشعر بألم الطعنة إلا المطعون

كل نبات ينمو داخل مناخه

تشبَّث الغراب بالهواء ، لكنه شعر أن ناراً اندلعت في كتفيه  
ومفاصله ، وفكر أن لكل زمن ملائكته ، وما كاد ينطق بتلك العبارة  
حتى شعر كأنه اقتلع من موقعه ، مع أنه لم يزل واقعاً فيه ،  
ورغم أنه لم ينتصر طول عمره على شيء ، مهما ضؤل أو هزل ، مرّ  
سرباً من النمل بجواره ، فرجاه ألا يضربه على رأسه بتلك الفأس  
السحرية التي يُشهرها الجميع كلما زفر أو تنهّد

كانوا فيما مضى ، يجيبون بكلمات رقيقة وعيون

مشعّة بالحب ، أما الآن فالجواب يأتي

نقراً مقلقاً يزعزع سكينته التي أنزلها بألم بالغ في حرائق نفسه

أخذ يرجو كل من يلوح أن يخرج من حصاره ليرعى كما يفعل

الأبرياء لكن الطريق مليء بالكماثن فأين عصا الشعر أتوكأ عليها؟

الظلام كثيف يا عساكر الشعر الطيبين معامل الحريرة ، حرس

الجغرافيا حرس المحيط وموظفي الموج

أزرع القمح فتأكله الأرض ثم أزرع فتأكله الريح والخريف وكلما

زرعت جاء ما يأكل حتى أفنى

(حسب أنه أوفر حظاً عندنا دخل السفينة، وها هو يقف أمام عتبة  
القندق، في ذلك النهار.. لقد ألقى خطابه الغريب)

ولكن

من يصدّق غراباً مُبتلي؟  
حقاً إن عنقه دقيق  
وجسده ليس ثقیلاً

خيل إليه أنه لو بصق معدته سيغفر له البشر، ففتح منقاره  
وجحظت عيناه حتى تساقطت الدموع. وكاد أن يحنق وهو يبصق  
كبده أيضاً، وفكر أنه لو تخلّى عن جناحيه لانتهى الأمر،  
وأقسم

إنه لن يحلم بعد اليوم.

لن يكون طموحاً ولن تغريه الحرية ولم يدر أنه بذلك تخلّى عن  
كل ما لديه  
هكذا

لم يلبث أن بصق قلبه ورثتيه ثم تخلّى عن عينيه كي لا يرى  
الأشياء التي أحبّها وقد صارت يباباً

منذ الآن سيحني رأسه أو يحشره تحت إبطيه ولكن نوحاً كان

محنكاً في الإدانة . حار الغراب في أمره اشماًز من منقاره ، بصق  
صوته فطار ، وسمعه البشر يجيء مكتوماً من بين الجبال ، وتذكر أن  
إحدى النساء ظنت به خرفاً ، وتمتم رجل بشيء ما ، وآخر غمغم كلاماً  
غامضاً . لقد ألهب ذلك ناراً في داخله ثم فُتح باب أطل منه رجل لم  
يكذ يلمحه حتى أقفل . وتوهم شخصاً يهمس له : «لقد مسست قلبي  
أيها الغراب» فدهش . هل يُعقل في هذا العالم الأصمّ . . ؟

وتذكر

قول الجنوبيين إنه ذئب لئيم ومن في الغرب أن هناك ملايين وأنه  
مجرد نقطة بينها . أما الشرقيون فقالوا : نحن ذاهبون إلى القرى  
لنصطاف والأمر لا يهمننا . وأدرك كم توهم : تناول حبة رمل ليسد  
جوعه فالتصقت بأغشية فمه

كانت المصابيح تشع من بعيد في ذلك الليل ، غير أنه لم يستطع  
الرقاد . تذكر كيف كانت عظامه تتقوس وهو مكب فوق العمل ، مع  
ذلك كان الغضب يطحن كتفيه ويفك مفاصله . دخل الغضب إلى  
غرفة نومه حيث كان يحشر نفسه في الزوايا المرقطة

أيّ إله استطاع أن يُرضي البشر؟

أيّ نبي؟

وأنا ، لم أزرع شجراً في الشرق

ولا قمحاً في الغرب ،  
ولا ورداً في الشمال  
ولا شوكةً في الجنوب  
أتنفّس في دائرة صغيرة  
تتسع لقدميَّ ، تحمل قامةً  
لا ارتفاع لها ،  
أتنفّس من مسامّي جميعها  
وأزفر هواء أئدفاً به .

وهدر صوت : « اطروده . . . »

إذا طردتني السفينة هل يقبلني الطوفان؟  
أم أخترع أرضاً قفراء أربطها بخيط وأذهب بها حيث أشاء؟ وبينما  
كنت تحت الرّصيف جذبني اثنان وأخذوا يجرّانني حتى وصلت إلى  
طرف الهاوية ، فقدفا بي وأخذوا يردمانني بالتراب ، وكنت كلّما خرجت  
أعاداني . كان جوفي فماً يناديني فأنهض . وكان نصف البشرية يصرخ  
في أذني اليمنى ، والنصف الآخر يقبع صامتاً في اليسرى .

العاصفة سحبت خيط الكلام من فمي  
ملوّثاً بالدم منذ ملايين السنين

قلت . . .





## قصائد غير منشورة



## ميراث

فاطمة ،

يا ابنة الشيخ

ظلك في السماء ومملكتك

ماء الجذور .

لا تصلحين للمدن أو للهجرة

تنامين في العراء

ويدهمك صهيل الخيول المغيرة

تفتحين المرايا لتكثير النجوم

توقظين عيون عشاق مضوا

ترحلين في الحلم

تصبيئين القناديل للنجوى

وقلبك عصافيرُ تلونُ الفضاء  
العاشقةُ التي كنتها  
والعاشقةُ التي ستكونينها  
طوفانُ أيامٍ مخلخلة  
أغفلتها بياناتك العائلية  
ولكنك متجددةٌ كالفصول  
تبتهلين للحبِّ العالقِ في الشراك  
وتنسأبُ الأمك من الفم المبتلي

لا تدخرين ذهباً ولا فضةً  
تصقلين كبرياءك ، تسقينها ماء العصور المعتق  
وتكبرين غيباً وسراً ،  
في جسدك ترتعشُ الأمواج  
والرقصُ على أشده

ظلت دماءُ الحبِّ تعصف منذ آشور وفارس  
حتى وصلت إليك  
أنت الوارثةُ همس المنقرضين  
والهدير التتريَّ في العروق العربية

الأقوامُ والعشاقُ الذين مرّوا  
الذين قد يمرون  
يهتفون للأنثى في دمك  
للحفيداتِ الألفِ من دمك  
للعاشقِ يجري في الشرايين المهجورة  
يستدرج يبايعك الملكية.

وشجرةُ الأزلِ الماكرة  
الشجرةُ التي ضللت أول عاشقين  
لا تزال تجددُ مكرها  
شجرةُ الله الأولى تُدلي ثمارها  
والجياحُ يملأون العالم .

من فم النبع تشربين لغز الحياة  
يفتح المعتصم كتاب أنوثتك ويعبر  
من سرٍّ من رأى إلى عمورية  
وإلى نيرانه تدفعين نيراناً  
وتخرجين من حصار الصحراء .

المسافةُ التي كنتِ تعبرينها في الأحلام  
استولى عليها قضاة  
حرثها الباحثون عن أول حبٍّ في العالم  
اغتصبوا خيالك  
أعلنوا احتلالهم لكلّ المياه  
وعبثاً تطلقين نسورك لتصطاد في الريح الصباحية

## وطن

وطني حلمي  
ملء الرأس ، حجم القلب ،  
حاراً وخفاقاً  
وطني الطرق الموحشة  
القبر وغرف الانتظار

وطني المنفى والذكريات  
وطني الاحتمالات  
الغابة الضائعة والشعوبُ المكسورة .



## القرينة

أيتها الأرض  
وراءك أمامك في أعضائك  
نجري  
تصيرين القرينة المملحة بالروح  
سيّدة الصباحات

على عتبات السجون نمارس اتّحادنا  
دون وساطة الشرطة المقدّسة  
نطير ، وفي الصدر قلبٌ من ورق  
وفي القدمين نارُ العبيد .

## ثوب الهواء

(مقاطع منتخبة من ميسودة قصيدة)

من يحرسني من خطوة الموت سواك ،  
هيا أيها الرعد الكنائسي ،  
ما بال العواصف الصغيرة تفتتنا ،  
هيا نتكاتف أمامها يا شقيقة الروح ،

أحتمي بك كطفلة رغم ذلك العمر وتلك السنين ،  
والشعر في صدري حالات  
هواء وماء وصخر ،  
وهكذا فأنا بمائه أرويك  
كي تظلي الوردة الأكثر جمالاً

لقد نبعت ذاكرتانا من رحم واحدة ،  
ثم تابعنا الجريان الصعب  
مسوقتين بالريح الدنيوية

كنت ترسلين رذاذك  
يقوي من إيقاع روحينا ،  
من إيقاع الشعر الدائم  
الوافد من الكبد والقلب والعينين ،  
من الأحشاء النبيلة والأحشاء الساقطة ،  
من مصبات الأنهار ومن منابعها ،

تذكرين كيف كنّ نمتطي ظهر الموج كأنه الجياد المتوحشة  
نروضها طول الشتاء  
وعندما يجيء الصيف تسلس قيادها؟

أيتها العواصم المكتظة في قلبي ،  
وصواري العصور الوسطى تملأ السماء ،  
والظلام البتول يعمّ الكون ، فأين أنت؟  
أضيئي الغرف والممرات ،  
فالذاكرة تشحن الزمن من الأزل لتفرغه في الأبد العظيم  
تلك الذاكرة المتوحشة!  
انقضضت على فأس المياه

وغاص خنجر الغبار في صدري ،  
ما أسرع فرس الأحلام في الفرار  
وبراري المستحيل تتشقق

\*\*\*

تربطنا الولادة معاً  
والجوع معاً ، والفرار ،  
الاختباء في قبور الأولياء  
وجور الخدم  
السجونُ والمخافر ،  
وريش البحر يتطاير في أثرنا ،  
وعصفور الهواء  
في غرف الذاكرة

هل يمتحننا الله في الرقاد الطويل  
تحت البروق والرعد والمطر؟

أناديك ،

تشابهنا ،

تلك القمصان المشتركة والثياب المتوارثة

التياب المرفوة والحائلة اللون

كأعلام الوطن

ويافطات النضال .

الحياة التي روّعتني مسرعةً نحوك ،

إنني بحاجة إلى العواصف كي أدعو الذكرى

والى الوحدة كي أحلم وأراك ،

كيف أحتفظ بذلك النسغ الذهبي؟

أتذكرين أمنا الرياح؟

كنت تمضين على هيئة إعصار أمامها

أو تنقلبين إلى نسيم في الطرق الأكثر ضيقاً ،

يا وروداً كنّا نحيلها إلى عرائس

لا أعراس لها ،

يعبث الخريف بشعرها

وأرديتها الأرجوانية ،

أنت يا دفئي في العواصف ،

توقدين روحك في جسدي ،

تناديني

وها أنا أجول كفرس رابحة .

أتذكرين الربى المنكسرة ،

ومروج الأمهات المطاردات ،

وقلعة الأولياء الذي يملكون العدل ولا يمنحونه؟

أتذكرين ليل الوديان ونهار المرتفعات ،

ونحن نمتطي جياذنا الجامعة

ونجوب العالم وحيدتين خلف أمنا ،

نستيقظ مبللتين بالأمطار

ظلالنا متداخلة ،

وجوعنا متشابك كالأذرع؟

جزيرتان في مياه الشتاء .

صغيرتين كنا في مهب الرياح

حشد من الأعوام الصعبة يرافق الحياة الغامضة

حتى انطلق الحصان الأشقر ذو الصهيل المدهش

وغاب في الأفاق

أعرف أنك لن تتركيني في حصار التجربة

وفي الطراد الصعب

والعواصف ذئاب في ليالي الجوع ،  
تبحث عن الرمم  
في الجوف العميق لي ، لك ، للإنسان .

## فمُ الهواءِ الغامض

(مقاطع من مسوِّدة قصيدة)

لم يلتقِ الملكُ والموبادان(\*) إلا في الليل المغولي ،  
والغلبةُ للغامضين ،  
فصحراء العروش شيرهة متشعبة ،  
مع ذلك فمُها مرٌّ من الظمأ ،  
يوم يتوجَّس كلُّ من الآخر  
من فمِ الهواءِ الغامض .

وحشُّ الموتِ داعب الموبادان ،  
فأطعمه كتفه حتى هدأتِ ثائثرته .  
لكن ماذا يفعل إذا ما راوده الجوع مرة ثانية؟  
ذلك الموتِ اليقظ الممجِّد ،  
الموتِ الصميمي الهادر ،

---

(\*) الموبادان ، هو أحد الثائثرين في عهد المعتصم بالله .



حقاً إننا نجهل الجهة التي يأتي منها  
لو أنه يُجزأ لأدهشت الموبادان أسرارهُ ،  
لو كان له عرش

لاغتاله ملايين اليتامى والثكالى

الموبادان فريسته البادئة

ونحن اللاحقون

الموبادان أمام مقصلته

ونحن اللاحقون ،

نحن الصحراء التي شربت ظمأها منذ آلاف السنين

\* \* \*

في الأدغال المحيطة بالعرش يدفنُ الملك فريسته

ينحني كالعبد ويشمّ التراب ،

هل من رائحة؟ هل من صراخ؟

لقد دفنه عميقاً ولا شكّ ،

دفن الذي يحرس اليأس كي لا يفيض ،

والندم كي لا يستأسد

دفن الرعب في القم الفاجر

كي لا يُفشي الأسرار

أحقاً دفنه عميقاً

ولن يقوى على الفرار من قبره  
لينكأ الجراح ، آلاف الأميال من الجراح؟  
لكن من يعرف صرخة الرثتين الفارسيتين  
صرخة الحنجرة الآشورية والشرابين البابلية ،  
حين تدوي في الاتجاهات كلها؟

\* \* \*

لنقل مللنا أسفاره  
مللنا صراخه ،  
مللنا أحلامه ، مللناك أيها الضمير ، كعضو عصري رخو ،  
مللناك أيها الكابوس  
تمنحنا قطرات من الزمن لتحسبها دهرأ ،  
مللنا حتى الأمطار التي توزعها الوكالات الإنسانية ،  
فهي لا تمنح إلا الظماً .  
ولكن ماذا عن الظماً الذي يلتهم حناجر الشعوب؟

لا ، لم يعد الموبادان ظامئاً ،  
ففي فمه ماء أشعاره .  
أيها الموبادان الأزرق  
يا جبل الحلم

حيث تسطع نجوم المسارح  
للليل الوحيد العالي

الموبادان يحمل نار الشوق  
وها هو الخبر النووي  
ليكتب أسراره قبل أن تخبو نيرانه  
قبل أن يفيق ذعره كما يفيق الوحش .

\*\*\*

عندما ارتدى القمر ثوبه الزجاجي  
صار ملكاً ،  
والموبادان العاري عبده  
ثوب الملك خاطته النجوم والأمهات الصغيرات  
لحماية قلبه  
مع ذلك أصابه العطب .  
قال الرواة إنه حجرٌ هشٌّ وترابٌ عقيم ،  
لكننا نراه من ذلك البعد الساحق ،  
نراه من نار النار  
التي تلهب العشاق ،  
مع ذلك تحرق الثوار .

أنظروا هذا فمه وهذه حنجرته ،

فلماذا لا يخطب فينا طالما أنه يعتلي منصّة بذلك العلوّ؟

فمنا الحجريّ يرتعش ، يصرخ ، بل يعوي تحت سوط المأساة ،

فكيف لا يتحرك فمك البشري أيها الملك؟

لماذا تنتزع الخطب من قلب الثورات الميتة

تنتزع أئينها

لتجعلها خطباً مضادة؟

ولكن ما شأنني؟!

أنا امرأة الهذيان ،

أجري وراء الزمن ، أو أتبعه

كما أتبع زوجي الرصين الشرقيّ

لأنني أنثاه ،

لنمضي صغيرين موغلين في قلة الشأن ،

لا نجرؤ على العصيان ،

وأرتعد رعباً حين يصعد سلالم الملك

ثمّ أمضي خلفه إلى منصّة الفجيعة .

\*\*\*

الريح تحثّ جيادها على الطيران  
والقمر بثوبه العسكري يحرس عرشه ،  
يحرس أسراره  
أكثر الكلمات قوةً تُقال همساً  
بها تقوى العروش  
وتطول السياط  
أو بها تنهار

حرّضوا الأساطيل والعواصف على الموبدان ،  
حرّضوا ذاته الغامضة على ذاته المفصحة ،  
حرّضوا روحه الملولة على روحه المتوثّبة ،  
حرّضوا كاسحات الشعوب والغابات  
نبشوا أسرار الخرائط والرواد  
أسرار الشعراء والعشاق ،  
بينما عراة مشردون  
يدفعون ضرائب انتمائهم لوطن مُصاب

لكن ، أيها الزمن العاتي أنت ليله ،  
أيتها الرمال المحرقة أنت أرضه

نحن شعراء الماضي  
لا نجرؤ على النطق بالسراً أمام جيل الخراب ،  
الشمس القادمة تكشف أبجدية المياه ،  
والحبر الذهبي يُمنح للنجوم الهاربة ،

نيراننا الرائعة قادمة لا محالة .

\*\*\*

الموبدان يُغمى عليه ،  
فالمحاكم خدعة الملوك  
ولسان الذاكرة أمرٌ من لسان القلب  
أما لسانُ الفم فعضلةٌ تافهة للمضغ  
الموبدان يتساقط  
مطفئاً كهرباء الحروب ، يخيط رقع الغيوم ليستر أنوثة السماء  
يغيب عن مأدبة العشاق  
ليمسك بصفتي بردي الضامر  
ويغلقهما إلى الأبد .  
حقاً إنه وحيد  
لكن له ملايين الظلال والأخيلة ،  
إنه يصنع شعباً من ذاته الواحدة .



## الفهرس

5	الشعر فح الأمل - تقديم : خالدة سعید
25	الزمن الضیق
27	جنس السماء
32	فضل الحب
39	الضیف
41	احتضار امرأة
45	أجزان العصافیر
50	أغنية زنجية
52	أغنية للجزائر
56	نشید الأصوات
59	حقائب السفر الأخير
61	الجرح والرؤیا
62	الموت العظیم
64	البواری النائمة

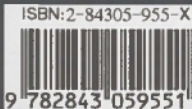


66	المسافر
68	سرير النهر
70	أرض الصمت
71	جذور الرياح
72	رسالتان عبر المساء
75	<b>حبر الإعدام</b>
77	الدماء الدافئة
82	حطام النافذة الوحيدة
84	حبر الإعدام
87	الخريف
89	دموع الوطن
91	أصابع العشاق
94	صليل الأزمة
96	البحيرة

عاشت مغلفةً بيقينها الشعري، متعلقة بالأمل الذي يجيء من  
لدى الشعر، بل لائذة بعصمة الحقائق الشعرية وبيهاء هذا العالم  
الذي أعطاهها مفتاحه وأجزل الوعود. كانت معتدة بهذه العلاقة  
الخصوصية بالشعر، بل بالعلاقة شبه السرية مع الشعر، بعيداً  
عن المنابر والأضواء والعناوين. كان الشعر وعدّها وعزاءها  
ومفتاح السر. ونكاد لا نلمس مرارة أو خيبة إلا في قصيدتها  
الأخيرة «غراب يطلب الغفران» التي تنتهي بعبارة مبتورة:  
«العاصفة سحبت خيط الكلام من فمي،  
ملوّناً بالدم منذ ملايين السنين  
قلت...»

لا أعرف إن كانت لو أمهلها الموت ستكمل العبارة. أم لعلها  
تركتها لتعلن أنها حملت اللامقول إلى عالم الغياب؟

خالدة سعيد



14